

عبدالله سنان

الرجل والافسان

د. سليمان الشطي

أقيم يوم الأربعاء الموافق ١٩٨٤/١٢/١٩ بمقر رابطة الأدباء في الكويت حفل تأبيني لفقيد الشعر والأدب عضو الرابطة المرحوم الشاعر عبدالله سنان .
وشارك في القاء الكلمات عدد من أعضاء الرابطة وأصدقاء الفقيد والقيت كلمة باسم آل الفقيد . وكان أول المتكلمين الدكتور سليمان الشطي الذي ألقى الكلمة التالية :-

بسم الله الرحمن الرحيم

ليكن العذر هو أول ما نفكر فيه حينما يقف أحد ليتكلم عن الراحل المرحوم عبدالله سنان ، فالجانب الذي يلامسه لا يستطيع مستطيع أن يحدد نقطة البدء لمثله ، ولو أردت أن أبدأ بأحدى البدايات لقلت لمن يستمع أننا لو أردنا أن نشير إلى فطرة هادية مصيبة وموفقة لكان عبدالله سنان هو هذه الفطرة .

لقد كنا نرى فيه التقاء عجيبا بين البساطة بأدق مفاهيمها وأعماقها ، حتى
لكأنك تلامس الطفل الكامن فيه يأبى أن يغادر هذه الروح الطيبة ، وبين الحس
العميق المتحضر الذي نرى فيه الانسان الذي تجمعت في شخصه معانٍ طيبة وتجارب
كثيرة متجددة يصل إليها المتعجل صاحب الأحكام السريعة دون عناء ، أما المعاصر
والمعاش - كما كنا - فهو سيجد ويمتدح بكثير لا يحد .

لقد عرفناه منذ أن خطونا أولى الخطوات وكان هو هناك يتحمل أولى المسؤوليات
ويستقبل القادمين بصدور يسع الدنيا ، ورأيناه كيف كان يتعامل مع الحياة برؤية
واضحة ينظر إليها كما هي بسيطة عميقة ، ويهتم بكل جزئية منها اهتمام الملاحظ
المشفق والواعي ، وقد خلف وراءه كل النظريات والتصق بنظرية واحدة ، وموقف
ثابت ، موقف انسان وشاعر يحس بالبسيط واليومي الدائم والمستمر ليصله بعد ذلك
بالفطرة الشاملة المدركة والتي ترى الخير الكثير في كل شيء .

ويتجلى هذا بشعره المعبر بوضوح عن شاعر وعي بحدسه الذي لا يخطيء
وبعاطفته المشعة بكل منير لتسكب فنا يلامس المرحلة بوعي وإدراك . لذلك كان
مبادرا ، فالشعر عنده لا يعني غياهب أو حجابا متصنعة متحذلقة ، ولكنه طبيعة انسانية
متفاعلة مع كل ما يحيط بها ، لذلك استجابات قريحته واعطاه الشعر كلمته التي يريد
فكان حسنا المستجيب والناطق حينما تتحجر اقلامنا أو تنوء الكلمات منا . فالكلمة
الشعرية ليست هدفا تنتهي عنده الضرورة ، ولكنه طريق خاص لادراك ما يحيط بنا ،
وللتبشير بكل ما هو نظيف وشريف مبرأ من كل غرض وقتي خاص وعابر إلى المعنى
الدائم العام والباقي .

كان يعي هذه الحقيقة دون أن يسعى إلى وضعها في اطر مذهب مزرکشة
بكلمات التنظير ، فقد لمسها بحس خفي يعكس عمق التكوين المتحضر لهذا المعلم
الشاعر أو الشاعر المعلم ، لذلك كان طبيعيا أن يستوي ديوانه بطبعته الكاملة حول
ثلاثة محاور أساسية هي : الله - الوطن - الانسان . إن هذه لم تكن خطوطا مرسومة
ومقننة من قبل ، ولكنها فطرة فطر عليها أصحاب الحس العميق والدقيق فكان هذا

التوجه طبيعة لا تطبع ، وهو نتيجة ليست لمقدمات موضوعة ، ولكنها مقدمة كامنة في الأعماق ، فالتوجه لله لم يكن عنده يمثل تدينا شكليا أو زمزمة يرددها ، ولكنه يقين ثابت فاض بفيضه الخاص والتميز الأصيل .

ولم يكن الوطن كلمة يرددها أمام الناس بصوت مرتفع ليسمع من لم يسمع ، ولكنه حب امتزج باللحم والعظم ، فهو حليب سائغ تشربته نفس أصيلة وصافية فشعث المعاني وتميزت واضحة بينة ، لذلك تجد كلماته تقدم احساسه بالوطن كما يراه بعينه التي ترى هذا الوطن رؤية المحب دون تزلف أو مظهرية ، لهذا تجد أن هذا الود يمتد ليحتوي كل هموم الأمة من خليجها إلى محيطها ، وكلماته تتابع كل هموم الأرض العربية .

أما الركيزة الثالثة فتأتي من ذات النفس التي تشربت بالركيزتين العظيمتين ، فإن التوجه بعد ذلك لن يخطيء مساره ، فهو سهم يتجه مباشرة إلى الهم الآخر والعميق المتعلق بالانسان ، حيث نحس بصفاء نظرتة إلى الأمور ، فليس هناك حجب تكدر هذه الرؤية ، أو أهواء تبعده عن تلمس الحق ، فهو يحس بالآخرين ويعبر عن هذا الاحساس تعبير من يرى الحقيقة في الوقوف بجانب الانسان ، فليس عجبا أن تكون قريحته الشعرية قد استفاضت خيرا ووضحا مكشوبا ، فهو نبع صادر من شاعر ينطق معدنه الشريف النبيل . وهذا هو ديوانه وكلماته صدى لهذا الملمح الطيب ، فقد كان مؤمنا بالحياة يرى جانبها المشرق والضاحك وان سخر حيننا ونطقنا كلماته بهذه السخرية .

لذلك نقول في ختام هذه الكلمة رحم الله الرجل والانسان عبدالله سنان ولن نقول ، بل لا يحسن أن نقول ، « كان وكان » فمثله قائم ومستقر في أعماق كلمات كائنة باقية ، ولكننا نحس نحن أبناء هذه الرابطة التي جمعتنا معه معنى ومبنى مدى فقدان الذي منينا به ، فرحمه الله رحمة واسعة .

والسلام عليكم

كلمة آل الفقيد

صلاح سليمان بوكحيل

أيها المحفنون ، أيتها السيدات ، أيها السادة . .

أسعد الله أوقاتكم ، وشكرا لكم ، أن سعيكم كان مشكورا .

أيتها الأخوات ، أيها الأخوة ، أشكركم جميعا باسم عائلة الفقيد
الشاعر المرحوم (عبدالله سنان) .

أشكركم من أعماقي وأشكر لرابطة الأدباء في الكويت موقفها النبيل ، وأشكر
كل اولئك الذين عبروا عن مشاعرهم النبيلة تجاه الفقيد .

إن هذا الحفل التأبيني الذي احتشد فيه رجال الفكر والقلم لدليل على أن من
يعطي لا يموت عطاؤه . إن الحياة عطاء لا توقف فيها . وإن الأخسرين أعمالا هم
الذين لا يعطون وإن أعطوا كذبوا على الحقيقة والتاريخ .

هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا يقولون إلا كذبا .

إن هذا الحفل التأبيني لشاهد على أن العطاء الحي باق مستمر متفاعل مع
الحياة .

لقد رحل الفقيد وبقيت آثاره تدل على صنيعة الذي به تحتفون اليوم وبه
تحتفلون ، وأنتم اليوم شهود للتاريخ وللحقيقة .

فجزى الله كل شاهدٍ عدلٍ يقول كلمته للتاريخ وللحقيقة .

وشكرا لكم وشكرا لرابطة الأدباء وشكرا لكل هؤلاء الذين واسونا بفقيدنا
الراحل المقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله .





الشاعر

عبدالله سنان

<http://Archivebela.Sakhril.com>

حياته وآثاره

خالد سعود الزيد

في صباح يوم الأحد الموافق اليوم الحادي عشر من شهر صفر سنة ١٤٠٥ هـ وهو اليوم الرابع من شهر نوفمبر سنة ١٩٨٤ ميلادية فقدت الكويت شاعرها الكبير (عبدالله سنان) رحمه الله .

لم تكن وفاته في صباح يوم الأحد بالأمر المثير للاستغراب فأيام الله واحدة . ولكن مالا يعنيها كان يعني شاعرنا الفقيد وحده . لقد كانت له وقفة عداً مع يوم

السبت ، لم يُخَفِّها ولم يَكْتَمها . أبداها واضحة جلية بقصيدته التي كتبها بعنوان (يوم السبت) ، يقول فيها : -

يا سبتُ في يومك الأعمالُ قد كَثُرَتْ والنفسُ قد زَهَقَتْ من شِدَّةِ الضيقِ
يمرُّ يومُكَ كالْحِمْلِ الثَقِيلِ على أكتافنا أو كحصو الرملِ في الموقِ
ذكراك مكروهةٌ عند الأنام فما أمرٌ ذكراك يومَ السبتِ في ريقِ
العاملونَ وكتابُ الدوائرِ والمستخ دمون وأهلُ البيعِ في السوقِ
فلو تَمَثَّلَتْ جَسَماً نُصِبَ أعينهم لمزقوك وربي شرٌّ تمزيقِ
فأنت يا سبتُ عيدٌ لليهود وهل رأيتُ أشأمَ من عيدِ الزناديقِ ؟
لم يَخْلُقِ اللهُ ثِقَلاً عاقَ حامِلَه كَثَقَلِ يَوْمُكَ أو أعطى لمخلوقِ

ولقد كان القدر معه طيباً كريماً كما صنعه طيباً كريماً . أصدر عبدالله سنان ديوانه الأول (نفحات الخليج) في عام ١٩٦٤ م ثم مضت عشرون سنة على صدور هذا الديوان لم يجمع فيها قصائده المنشورة ، ولم يصدر ديوانا ، ثم صدر مجموع شعره كله في أربعة أجزاء في عام ١٩٨٣ م . لقد أعاد في عام ١٩٨٣ م طبع ديوانه الأول (نفحات الخليج) تحت عنوان (البواكير) وهذه المسلسلة (نفحات الخليج) مشى فأصدر دواوينه الثلاثة الأخرى وهي : -

١ - (الله - الوطن) صدر عام ١٩٨٣ . وهو الجزء الثاني في مسلسلة نفحات الخليج .

٢ - (الانسان) . صدر عام ١٩٨٣ م وهو الجزء الثاني من مسلسلة نفحات الخليج .

٣ - (الشعر الضاحك) وفي هذا الديوان وهو الرابع من المسلسلة مسرحية (عمر وسمر) . ولقد صدر عام ١٩٨٣ .

لقد كان موفقا ميمونا . صدرت دواوينه الأربعة جميعها قبل وفاته بعام . وتلك منة من الله عليه وعلينا .

لقد رسم (عبدالله سنان) خريطة حياته في هذه الدواوين الأربعة بكل

تضاريسها ، ما برز واضحا منها جليا ، وبكل سهولها ، وما كان مستورا من أعماقه خفيا .

لقد صور في هذه الدواوين الأربعة خارطة أمة وتاريخ شعب . لقد سجل الواقع المحلي كما سجل الواقع القومي العربي بكل ما مشى عليه من أحداث . لقد ظل أكثر من نصف قرن يسجل على صفحات قلبه تاريخ أمة العربية ويجسده بالكلمة الصادقة الزكية . وظل أكثر من نصف قرن يتابع خطوات الناس هنا في هذا الجزء من الأمة العربية . فهو شاعر الشعب ، ولا أقول الشاعر الشعبي لكيلا يلتبس المفهوم ، رغم أنه ينظم بالعامية أحيانا فيثري هذه العامية بما يبعث فيها من روح الفصحى .

شاعر أعطى . وتدفق شلالا عذبةً مياهه وسواقيه . لكم نهلنا من غديره في صبانا ، وكرعنا من نغيره . ما كان عطاؤه مقطوعا منذ عرفنا ولا ممنوعا . لكن جربنا العوم ونحن صغار على شطآنه ندفع قدما ونسحب أخرى ، ثم يدا ونشخذ أخرى ألا لله ما أجملها من شطآن ، وما أحلاها بدعابتها وسهولة تراكيبها ، وبساطة تناولها .

ويقولون لي : يخطيء في النحو أحيانا ويلحن في اللغة . فأقول : ما على هذا الشلال المتدفق إن أخطأ المجزى في قليل من شأبيه أو كثير منها .

أجل فالشاعر يغرف من بحر . لكنه ما كان يعنى بما في دلوه من صخر أو رمل أو ماء ، وإن لم يكن يجهل أن من بين هذا الصخر والرمل والماء لآلىء في أصدافها لم تمس ، ما زالت في مقارها أبكارا .

هو لا يعبث لكنه يبعث . فمنذ شغلته شواغل الشعر وهو يلوب في أجوائها مغوارا ويخوض في لججها بحارا .

لم يتعلم العربية ولكنه صاحب حس بضمونها .

لا يعرف النحو ولكنه لا يخطيء كما يخطيء ناشئة اليوم من شعرائنا الشباب .

لقد لزم صومعة الشعر لزوم رهبان . وتبتل في محراب الكلمة يرتل ما يلقي إليه

من قدسيها ترتيلاً . ما ضجر من عبث هازئين لأنه ما كان يهزأ ولا يتراجع عن مواقفه حتى توفاه الله .

تعلمنا منه الشجاعة في قول كلمة الحق ، وديوانه طافح بالقول الشجاع ، والمواقف الحادة المستقيمة .

لم تكن دواوينه الأربعة إلا صورة أنفاسه ، تلاها على مسامعنا شعرا ، لقد تجاوز بعطائه حدود الانسان العربي ليرسم خارطة الانسان حيثما كان .

أقامت الجالية الهندية في الكويت بتاريخ ١٠/٢/١٩٦٦ حفلة بمناسبة عيد ميلاد (المهاتما غاندي) ، وشاركت في هذه الحفلة رابطة الأدباء الكويتية ولم تر الرابطة لسانا لها خيرا من عبدالله سنان . لقد كان (عبدالله سنان) في الهند يوم كان (غاندي) زعيم الهند . سار الشاعر مع تلك الجموع الهندية التي احتشدت في الهند . وتربع كما يتربع الهنود ، والزعيم يخطب مستمعاً إليه معجبا به مختزنا بذاكرته صورة هذا الزعيم الانسان . فلما دعت الجالية الهندية في الكويت لبي نداءها واستجاب . ورسم لنا صورة (غاندي) بعفويته المعروفة وسجيته التي لا تكلف بها ولا زيف . قال : -

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أذهبتُ روحك في البلاد شعاعا	ومشيتُ في الجمع الغفير مطاعا
دوى نداؤك في المدائن والقرى	فتقاطرت تلك الجموع سراعا
إن سرت ساروا أو وقفت توقفوا	أو قلت أصغوا نحوك الأسماعا
أو صمت صام القطر قاطبة وإن	أفطرت أفطرَ وازدري الأوضعا
ما أوصدوا باباً بوجه موارد	إلا وكنت لبابهم مصراعا
أقسمتُ إنك للبلاد محرر	ولسوف تبقى ما حييت دفاعا
ولقد رأيتك في المسيرة رافعا	يدك النحيلة تنذر الاقطاعا
ودعوت شعبك أن يكون مثابرا	ويقاطع المستعمر الخداعا
قلت اصبروا متجلدين بها على	شظف المعيشة واركلوا الاطماعا
ولكم صرخت بأوجه المستعمر	ين : أن اخرجوا ، لسنا لكم أتباعا

ووقفت للدخلاء وقفة حازم حتى تركت عصيهم منصاعاً

ونشتم روح الانسان ببراءته وفطرته ونقائه في قصيدته (لومومبا) المحفورة في ديوانه الأول البواكير فمن شاءها فليطالعها هناك .

لقد كان عبدالله سنان المولود في الكويت عام ١٩١٧ م حسباً أرخ لنفسه (ولدت بيوم أغر حقيق) شاعراً مطبوعاً موهوباً . لكل حدث في شعره صدى ولكل حادث صورة لقد أعطى حتى آخر أيامه عطاء ندياً . رحمه الله فلقد كان انساناً . وكان لنا في هذه الرابطة أبا . كنا نأوى إليه إذا اشتدت بنا نائبة ونعتصم به إذا ألقى علينا الدهر بالأسى . ونلتف حوله دارة إذا جلس ، فنصغي لأحاديثه وطرائفه . وما أكثر طرائفه . وفي ديوانه الرابع الموسوم بـ (الشعر الضاحك) ثروة من ثروات العصر لو تقدمت به العصور لحظى من الدارسين المحدثين بعناية فائقة ولسوف يحظى .

إني قبل أن أتحدث عن شيء من طرائفه أود أن أقول كلمة في سجاياه وفي كرمه . لقد كان رحمه الله محبوباً من كل معارفه ، كريماً سخياً . يجود بما في يده . يحب عمل المعروف ، ويسعى في المكرمات سعياً مشكوراً .
يحدثني أصدقائه ، وما أكثر حديث أصدقائه عن كريم سجاياه ونفحات يده المعطاء ، لأريد تعديدها فلهذا يوم يأتي إن شاء الله .

سأحدثكم بطرفتين من طرائفه وله نوادر لا تحصى . لقد بعثت وزارة الثقافة الهندية دعوة للرابطة عام ١٩٦٨ للاشتراك في الاحتفال معها مرور مائة عام على مولد شاعر الهند الكبير (غالب) وقررت الرابطة أن ينوب عنها الشاعر (عبدالله سنان) . وكلمته بمضمون القرار فرحب . واتفقت معه للذهاب إلى السفارة الهندية في اليوم التالي .

وجاءني في اليوم التالي ومعه قصيدة تزيد على الستين بيتاً في رثاء (غالب) . ومطلعها : « مرَّ قرن على زمان وفاته » .

وقرأتها وذهبتنا معاً للسفارة الهندية واستقبلنا المسؤول الثقافي في السفارة .

وأعطانا نبذة عن حياة (غالب) ومجموعة من مؤلفاته .

وكننت في شك وسألت الملحق الثقافي ، هل الاحتفال لمرور قرن على وفاته أم مولده ؟ فقال : إن الاحتفال لمرور مائة عام على مولد الشاعر (غالب) ، فأسقط بيدي فالقصيدة التي في جيب (أبي خالد) رحمه الله مطلعها : -

مر قرن على زمان وفاته

أي ليس على زمان مولده . وارتج عليّ . والتفتُ إلى عبدالله سنان مضطربا وكاشفته بالورطة التي وقعنا فيها . فربت على كتفي رحمه الله وبلا توقف وبلا حرج قال بسرعة بديهية وحضور خاطر : -

مر قرن على زمان حياته بدلا من وفاته ، فكدت انفجر ضاحكا لولا خوفي من أن ينكشف أمرنا واطمأنت نفسي . أما بقية القصيدة فمعروف شأنه . وذهب شاعرنا إلى الهند وترجمت القصيدة ، ولأقت استحسان أعضاء الوفود . وقد تولى شاعرنا جلسة من جلسات الاحتفال وكان موضع حفاوة حتى عاد .

أما النادرة الثانية فقد رواها لي الأخ الشاعر (يعقوب السبيعي) .

لقد تقدم عبدالله سنان لإمامة يعقوب السبيعي لصلاة المغرب وكانا وحدهما والجهر بالقراءة في صلاة المغرب في الركعتين الأوليين معلوم ، كما أنه من سنن الصلاة إذا كان مع الامام رجل واحد أن يقوم هذا الرجل المأموم عن يمين الامام مع تأخره قليلا . ووقف يعقوب عن يمين عبدالله سنان وكان يعقوب غير ذي سمع جيد من جانب اذنه اليسرى وتلا عبدالله سنان الفاتحة وعند انتهائه من قوله تعالى : ﴿ ولا الضالين ﴾ كان من السنة أن يجهر يعقوب بلفظ (آمين) لكنه لم يسمع ومضى عبدالله سنان في الصلاة وأنهى الركعة الأولى . وقام للركعة الثانية ، وقرأ الفاتحة وقبل فراغه من الفاتحة أمال وجهه نحو يعقوب وقرأ بصوت عال مرتفع ﴿ ولا الضالين ﴾ فأدرك يعقوب ما فاته في الركعة الأولى وما عناء إمامه الشاعر رحمه الله في ركعته الثانية .

ولشاعرنا نوادر كثيرة أرجو أن يسجلها أصدقاؤه ومعارفه . وأن يحرصوا على تسجيل سجاياه . وما أكرم سجاياه رحمه الله .

آخر ما كتب الفقيد



إذا الأجنبي أتى منكراً
فظيعاً فأطلقه حكم البريء
وان أخطأ ابن البلاد الطريق
فخذه بهتمة ذاك المسيء

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

عليك بالصبر في الضراء ما عقلت
والشكر لله في السراء واستقم
ثابر على طاعة المولى وكن ورعاً
واسجد له واسأل الغفران تغتم
فالله قال اعبدوني أستجب لكم
فهو القريب لمن يدعوه في الظلم



الفقيد على فراش المرض

سأصبر حتى يأمر الله بالشفاء
ولله في كشف البلى النهي والأمر
واني لراضٍ بالقضاء وحكمه
واعلم ان العسر يعقبه اليسر

أيا من اليه تمد الأكف
إذا قال للشيء كن فيكون
ويا من يفك أسرار الأسير
بقدرته دائما نستعين
أجربي من مرض منهك
يكاد يقربني للمنون
وفك أساري يا ذا الجلال
بعافية قرة للعيون
فأنت اللطيف وانت الرحيم
وانت المجير وانت المعين
ختاما سألتك حسن الختام
وصل على سيد المرسلين

إذا ما أخذت بأمر الطبيب
فبابك تطرقه العافية
وان حدث يوماً الى لذة
ستتابك الملل القاسية

غليظ الطبع ليس له صديق
ولا في كل منطق طريق
له وجه يحف البشر منه
إذا اعترضته طارئة يضيق

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



إلى رابطة الأدباء

من شعر المرحوم
الشاعر عبد الله سنان



ARCHIVE
<http://Archive.khrit.com>

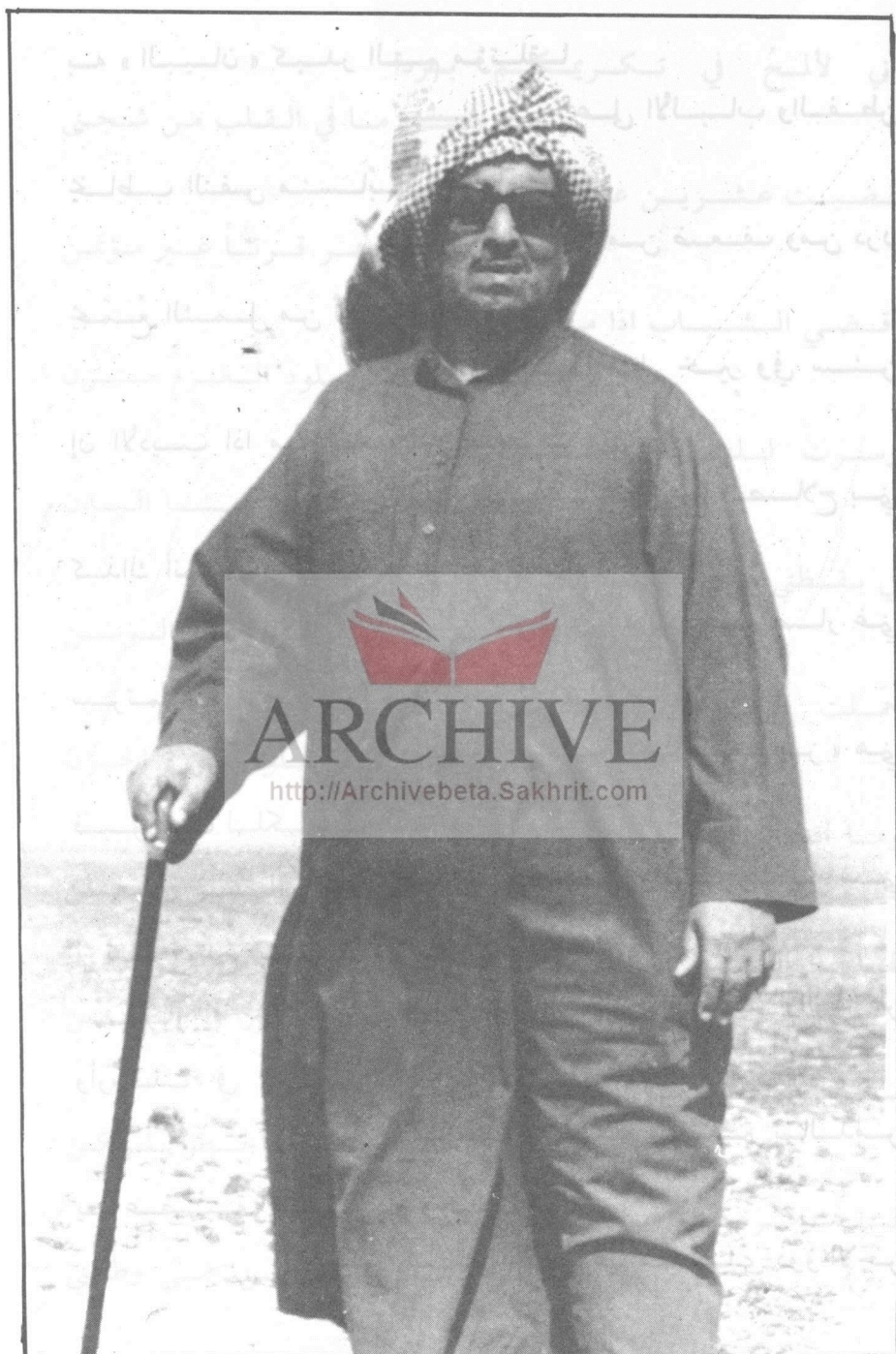
ما أن تغربت عن أهلي وعن وطني
وأنتم لي أعوان على الزمن

برفقة مثلكم يعتز مغترب
ويحمل الهمّ بساماً لدى المحن

لله من أدبٍ أغنى روابطنا
كأنه نسب من عهد ذي وزن

لله من أدبٍ أضحت روائعه
كأنها حسب القيسي واليميني

زهت معانيّ حتى أصبحت أفقا
نجومه كل لفظ رائقٍ حسنٍ



به « البيان » كبدر التم مؤتلقا
يشع نوراً على الألباب والفظن
يخاطب النفس منساباً لجوهرها
كأنه الطهر من ضعف ومن درن
يجمعُ الشمل من أقصى الخليج الى
حدّ المحيط على خيرٍ وفي سنن
إن الأديب اذا ما نفسه طهرت
أبدى نتاجا على نهج الصلاح بني
كذاك أنتم فكم أبدعتم أدباً
بالفن يزهو وبالتوجيه صار غني
سرتم على نهج « فهدٍ » في قصائده
والنثر من فنه « عبدالعزيز » هني
فبوركت للكويت الدهر رابطة
صانت ترائاً وزانته بكل سني
لم تنخدع بسراب المال تطلبه
بل آمنت بخلود الفكر والفظن
وأرسلت في بطاح الارض دعوتها
كالنور تزهو ولم تغترّ بالدمن
يا عصابة الخير في دار وجدتُ بها
صفواً على رغم ما أبدى ذوو الإحن

إني لألحُ في تكريمكم برداً
يكاد يمسح ما في القلب من شجنى

قضيت عشرين عاماً في مجالدة
وحسبك الدهر قرناً غير مؤتمن

أقضي الشباب إذا ما ناء بي بلد
خطوتُ خطوَ جلودِ العزم متزن

وسرت للهدف الأسمى أبادةً
وأصطفيه خليلاً في حشا البدن

في يقظتي هو نصب العين أرقبه
إني أراه ضجيعاً ساعة الوسن

حملت آلامه حتى سعدت بها
وإلفه الشيء تجلو سورة الحزن

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وما أنا للكویت اليوم ذو ملل
وكم شدوت بها في السر والعلن

لها من الفضل ما غنى القريض به
كأنما هو لحن الطير في الفنن

لكن لمحت من الأهدافِ بارقة
تطفئ الجوى وتقود الخطو للسكن

فما هجرتكم سعيًا لمنفعة
لكن دعاني نداء من حمى وطني

فلنبذل الجهدَ في خير الخليج لكي
يغدو ليعربَ مثل الصدر للسفن
شماله أنتم اما الجنوب فقد
لاحت بشائره كالعارض الهتن
فالأرض عطشى لأبجادِ نجدَدها
والبحر يسأل عن ملاحه الفطن
بني الكويت سلاماً عاطراً عبقاً
ممن يرى حبكم من واجب السنن
إذا نأيتُ ففي قلبي مآثرُكم
تشارك الخفقَ في عدوٍ وفي قرن

١٩٧١

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أخي أبا خالد

بقتلم:
أحمد إسحاق

يعز على قلبي ان اريتك ؟ فلقد كنت يا ابن سنان أخا كريما لكل من عرفك .
كنت معي يا عبدالله مثالا للوفاء . عرفتك قبل أن أعرفك ، فرسالتك النبيلة المؤرخة
١٩٤٩/٤/٢٦ التي بعثت بها الي من الهند عقب تعطيل مجلة كاظمة كانت رمزا لما
تحمل من حب واخلاص للأدب والشعر والثقافة والعلم . وحين عدت من الهند
توثقت عرى الصداقة بيننا ، فوجدت فيك شاعرا ساخرا متهمكا يقاوم اخطاء
الوزارات والادارات بأسلوب مقبول يقرؤه الجميع ويرضى عنه الجميع .

وان أنسى فلن أنسى موقفك الوفي في أواخر عام ١٩٧٦ ، فلقد صممت على
أن تكون مخلصا لرابطة الادباء ومخلصا في الوقت نفسه لمبادئك وقيمك التي التزمت بها
في هذه الحياة !!

أما عروبتك - يا أبا خالد - وقوميتك ووطنيتك فقد كان لها النصيب الأوفى من
شعرك . حملت هموم فلسطين ، وعشت جميع القضايا الوطنية ، لم تغض الطرف عن
خطب حل باقليم من اقاليم وطنك الكبير ، ولم تهمل نجدة اخوان لك يصارعون
الظلم سواء أكانوا في المشرق من الوطن العربي أم في المغرب !!

كنت عربيا مؤمنا أشد الايمان بعروبتك وقوميتك ، تدافع عن قضايا الأمة
بحماس صادق يتفجر من ضلوعك ، ولئن رقدت في مثواك الأخير فان جميع اخوانك
سيبقون اوفياء لذكراك ، فتم قرير العين فقد أدبت الواجب يا أبا خالد الأصيل .

جريدة الانباء - الصفحة الأخيرة - ٨٤/١١/٦

في وداع الفقيد

بقلم: عبدالرزاق البجير

كل من شهد جنازة شاعرنا الراحل المرحوم عبدالله سنان وتأمل الذين جاءوا الى وداعه الأخير ، فإنه لابد أن تستبين له منزلة ذلك الصديق العزيز في نفوس الأدباء والأخيار . ذلك أن الذين شهدوا جنازته كانوا من صفوة الناس ، فقد حضر توديعه معظم الاخوان من رابطة الأدباء وثلة من الشخصيات الكويتية ، جاءوا كلهم والحزن على فراقه يملأ نفوسهم ، ولا يصل الفرد الى هذه المنزلة الا اذا انطوت جوانحه على ضمير نقي ، ونفس مطمئنة يملأها الحب للناس كل الناس ، ولكن ليس كل أحد قادراً على التعبير عما في نفسه ، لهذا نال صديقنا كل هذه المكانة لأنه كان مرآة لضمير الخيرين ولسانهم ، ولو أردت أن استشهد على ذلك لخرجت عن القصد لأن شاعرنا جالت حاسته الفنية في جوانب كثيرة من الحياة ، ولأكتفى بهذه النبضة الوجدانية التي خصت مربية فاضلة كانت ولا تزال أمّاً رؤوماً لكل طفل ، حتى أصبحت القلب الحنون لكل طفل عربي اتيح له أن يشترك في برنامجها ، ولكل طفل استمع أو شاهد تلك البرامج التربوية النافعة ولم اقرأ لشاعر تحرك وجدانه لهذه الناحية الانسانية . . . أمداً الله في عمر مربيتنا الفاضلة ورحم الله صديقنا الشاعر رحمة واسعة . فلنقرأ هذه القطعة الرقيقة :

ماما أنيسة أنتِ انس	الطفل بل أنتِ ارتياحه
عودي اليه تعود فر	حته ويكتمل انشراحه
ماما انيسة أنتِ حقاً	كاسمك السامي أنيسه

عودي إلى أبنائك الأطفال بالتحف النفيسة
فلك التحية والسلام لك الكرامة والتجلة
من كل أم في الوجوه د وكل ذي طفل وطفله

ويحسن بي أن أشير في هذه الكلمة الموجزة إلى أن صديقي المرحوم قد لا يهتم
بالناحية الفنية ، فكثيراً ما يعتني بتوصيل فكرته الى قرائه خاصة إذا كانت هذه الفكرة
فكرة أخلاقية لاعتقاده أن الفن ليس ضرورياً في مثل هذه الحالات . وأن الفكرة إذا
صُبت في قالب شعري قد تُرضي القارئ وتروي ظمأه فلنستمع اليه في هذين البيتين
كدليل على صحة ما ذهبت اليه :

كُن لين القول لا تغلظ على أحد فكل فظ عليه الهم ينقضُ
فالله خاطب خير الرسل في عظة (لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا)

ولو استعمل شاعرنا اللوم في البيت الأول بدلا من الهم لكان أفضل من الناحية
الفنية ، وعلى كل حال فإن هذين البيتين يصوران ما تنطوي عليه جوانح فقيدنا الشاعر
من نفس مجبولة على حب الخير والدعوة اليه ، ومن يتصف بهذه الصفات فإنه يكون
أثيراً إلى النفوس الخيرة وصفوة القول أن أديبنا الراحل يستحق بكل جدارة أن يُسمى
أديباً شعبياً ، لأن من يقرأ ديوانه يجده منفعلاً دائماً بمشاكل الشعب ، فقد عالج غلاء
السلع الاستهلاكية التي تعاني منها الطبقة الفقيرة كما هاجم المتعاليين في مناصبهم أعنف
مهاجة . كذلك نجده يعني ما محته الحضارة الحديثة من أخلاق القرية المتمثلة بالكرم
ورعاية الجار وأداء الأمانة الى ما هنالك مما تتصف به حياة البساطة التي كان الناس
يتصفون بها قبل هذا التغير السريع ، فكانت حياتهم مريحة أما الآن فإنهم يعيشون في
قلق وإرهاق بسبب ما حملته الحضارة من تكالب وصراع . وبعد ، فإن صديقي
الباحثين الاستاذ خالد سعود الزيد والدكتور عبدالله العتيبي قاما بدراسة غنية لشعر
المرحوم عبدالله سنان طيب الله ثراه ونرجو أن يتبعها بدراسة لآثار اخوانه من الأدباء .



عندما تنعى المروءة



بقلم: عبد الحميد حنين

ليس أقسى على الرجال من أن يقفوا لينعوا الرجولة ، وليس أشد على أنفس الأحرار من أن تبكي حرا ، وليس ادعى للحزن من أن يقف أهل المروءات على قبر رجل كانت المروءة لحمته وسداه ليواروه التراب .

ان تحدث الناس عن شعر عبدالله سنان فان ذلك لهم ، وان تحدثوا عن عروبه فان الميدان فسيح في هذا لا ينتهي منه طرف ، وان تكلموا عن مروءته فان هذا بيت القصيد ، وهذا ما كان ييز به الاقران ويتفوق عليهم فيه .

ان عبدالله سنان كان رجل مروءة ثم هو بعد ذلك رجل شعر ورجل موقف ورجل عروبة صافية ، ورجل وفاء لا نظير له .

كانت الأحداث البائسة تلم بهذه الأمة . فيتألم لها الاحرار ، ويتأثر بها من في قلوبهم مثقال ذرة من المشاعر العربية ، ولكن عبدالله سنان كان يرى في الحدث البائس حدثه هو ، فتراه لا يسلو ولا تزول كآبته حتى يقع لهذه الأمة ما يخفف الحدث ، وما يوجب السلوى وما رأيته شاخا وما رأيته هادىء الخاطر كما رأيته ايام انجازات عبدالناصر العظيم .

لا أتذكر كيف عرفته ، وكيف بدأ بيني وبينه هذا اللقاء القومي الحميم على فارق في السن الكبير ولكن ما حزبني أمر قومي الا وجدته أمامي ، ولا تجمع الناس على حدث قومي الا وكان بين ظهرائهم ولا كان موقف تحضر فيه الرجال وتغيب عنه اشباه الرجال الا وجدته بين القوم وهو اربطهم جأشاً وأشدهم شكيمة .

أذكر وقفته الرائعة يوم أوقفت عن العمل لاسباب قومية ووطنية حيث كان أسرع الناس اتصالاً بي ، وأشدهم رغبة في مواساتي الى جانب أبي اسامة^(١) حفظه الله ، وقد وضع نفسه حيث أضع نفسي وطرح بين يدي امكاناته وما كان الا موظفاً بسيطاً وما كنت الا ناظر مدرسة يعيش على راتبه الشهري لا غير .

أذكر أبا خالد حين تتعقد الأمور وتقرب المواقف الحادة الصارمة ، فقد كان لا يتهرب حين يتهرب طلاب السلامة وأولئك الذين يخشون عواقب الأمور ، وكان أسرع الناس الى التضحية وأشدهم بعداً عن مظان الغنيمة وهو في كل ذلك لا تغادر البشاشة محياه ولا تغيب البسمة الهادئة عن طلعته .

انه لا يقترب منك والدنيا ترقص من حولك ولا يبتعد عنك وهي عابسة في وجهك ، وهو أكثر الناس ايثاراً لك وقرباً منك كلما تفرق عنك اخوان المصلحة ، واصدقاء المراكز ودبابير الوظيفة

<http://Archivebeta.Sakh>

ان يقول شعراً فقد قال الشعر كثيرون ، وان يتحدث في الأدب فقد تحدث في ذلك العديد من الادباء ، وان يكون رجل موقف فان الكثيرين وقفوا المواقف ، ولكن حيث تكون العروبة الصافية الصادقة التي لا تتبدل بالأحداث ولا تتغير بالنوائب ، وحيث تكون المروءة التي لا حدود لها فان هذا لا يكون الا في القلة من الرجال ، وهذا ما كان عليه عبدالله سنان المحمد فلتترحم عليه ، لان الرجال قليل ، وكلما هوى منهم نجم فان من الصعب ان نعوض فيه ، فواحسرتاه .

جريدة الانباء - الصفحة الأخيرة - ٨٤/١١/٢٠



غنياء

في غنيبة: عبد الله سنان الشاعر الإنسان

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

شعر
د. خليفة
الوقيتان

أرى كل شيء كما كان من قبل
في الغرفة الباردة .
بقايا لأنية الشاي
علبة حلوى مضى نصفها

وباقة وردٍ
تشت مفاصلها
فانحنت ساجدة .
وقرب السرير
ممرضة تسحب الشرشف الأبيض الغض
ترميه في الأرض
تمضي إلى شأنها .

* * *

وأسحبُ رجليَّ نحو الممرِّ القريب .
هنا كلُّ شيء يدورُ كما كان من قبلُ
باقاتُ وردٍ مكدسةٌ عند إحدى الغرفِ
حشودُ من الزائرين
يطوفون حول سريرٍ وجيهٍ
توعكُ بالامسِ
من موجةٍ باردةٍ
مِزاحُ ، ضجيجُ تبعثُر في الغرف الحاشدة .
فصولُ من الغزل الرثِّ
بين الطهارةِ وفراشةِ بضّةٍ ناهدة .
أنينُ تسرّب من عنبرٍ
عند أقصى الممر
صبيٌّ ضئيلٌ تأبط كل الجرائد .
وأرْمقُ غرفتك الباردة .
تُرى هل أغادرها الآن
كيف أطيّق الفراق الطويلا .

* * *

تُرى هل درى الزائرون ، الطهاة ، الممرضة ، الجمعُ
من كان بالأمس ضيفاً غريباً
تسلل مثل نسيم الصباح
وفي آخر الليل
كالنجم أغفى .

* * *

تُرى هل درى الجمع
من كان بالأمس
دمعَ المحاجرِ
همسَ الجوانحِ
نبض القلوب .



شهابا يبدد أشلاء ليلهم المرّ
إذ تدلهم الخطوب
وتنأى الدروب
ومن كان . . . من كان . . . من كان . . .
<http://ArchiveBeta.Sakirrit.com>

* * *

تُرى هل درى الجمعُ
أن الذي قد هوى
تمدد بين الضلوع
وأسرى على قطراتِ الدموع
وأبقى بكل القلوب التي تعرف الحب
جرحاً ونزفاً
وديناً أبى أن يوفى .



الله
أنت



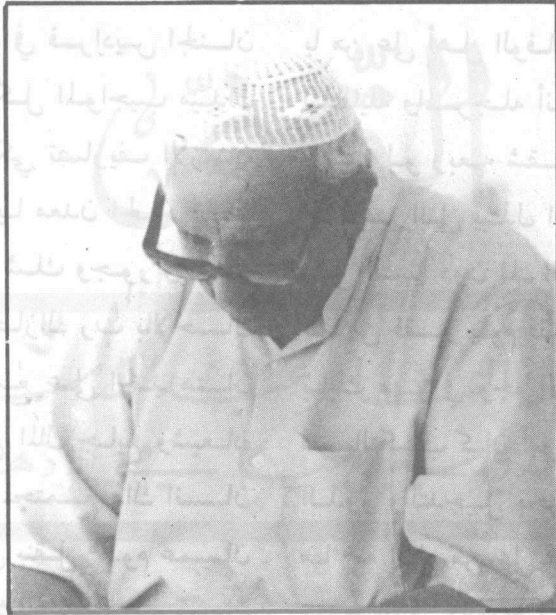
في رثاء المرحوم عبدالله سنان

شعر: يعقوب السبيعي
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

عهدي بوجهك موئلا لعيوني
ورحيب صدرك ساحة لشجوني
أسفي عليك لقد رحلت خلفا
حبا يحز القلب كالسكين
قد كنت تملأ بالسروور مشاعري
واليوم ها أنت الذي تبكييني
عهدي بمقدمك السعيد يقيمني
أنساً فأبسط للسلام يميني
ويضمك القلب المحب وتحتفي
بالقادمين مشاعري وعيوني

وألوذ بالقرب الشديد لان في
قربي لعبدالله ما يرضيني
كم من دعاباتٍ وكم من طرفة
بيني وبينك لم تنزل تشجيني
أشكو اليك - بغير داع - كي أرى
منك الذي تبديه للمسكين
فتلفني منك المشاعر رحمة
وتذوب من عطف عليّ ولين
حتى إذا أدركت أي مازح
عاجلتني بقصيدة تهجوني
وتعود تضحك بعد حين غافرا
لي مزحتي ونجد بعد الحين
الله انت لقد خلقت مبراً
من جفوة مستمسكا بالدين
مكننتي من كل خير غائب
عني وكان الخير في التمكن
وتضخم الآمال حولي كلما
مد القنوط محالب التهوين،
هل عنك في الصبر الجميل تعلقة
يا مؤثرا موتا على السبعين،
صلى عليك الله يا روحا مضى
يختال في جنات عليين



في فقيده الأدب والفن الشاعر عبد الله سنان

شعر: منصور الخرقاوي

مني سلام للقفافي والأوزان
 قالوا توفي أمس عبدالله سنان
 اليوم تبكيه القلايد والعقود
 سحابة من غير برق ولا رعود
 القيم جنة بالسما وجه مشتان
 جنة مع موتك من أيام موعود

يا من على أهل الوفا ماخذ الزود
للطايله والمرجله أنت معدود
حتيش لو ربعه شقاميم وافهود
الشاعر الي يبذل النفس ويعود
مثل السبا دون المراقى والصعود
كم من فقير يوم قفيت مظهود
بابك مهو في وجه الايتام مردود
لو بالتكسب كان أموالك أرجود
الذور والتدجيل بحره له حدود
ما همه الي من على المدح محسود
ومدح الوفي كالقوج لو كان بقيود
غني بجيلك يا فتى الطفل العود
ولا خضعت إلا لمن كان معبود
الي فجعنا فيك قادر ومحمود
لو عاش عمر المرء تاليه للودود
اعزي الفصحى بمن كان مفقود

يعل قبرك في فراديس الجنان
يا من له ابكل المواجيب ميدان
ذخر لمن يشكي تصاريف الأزمان
أهل الشعر يا معدن الجود وديان
حاشاك من شك وجور وبهتان
يا صاحبي جازاك رب بالاحسان
ييكيك في دمع على الخد هتان
مالك بجمع المال جايع وشبعان
حر يهزه المجتمع ذاك انسان
الشاعر الي ينقل هموم عمسان
مدح الردى مثل ابتسامات وجعان
في عالم الأدب شيدت بنيان
ما حظ من جورك رفاق وجيران
اعني قوي البطش علام ماكان
الموت ما عنه مفر بجنحان
الختم صلى الله طاعه وغفران

التَّمَيُّن

الى الشاعر عبد الله سنان
الذي سيبقى حياً في الأذهان

شعر
في فصل السعد

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هل أشتري الموت كي القاك ثانيةً
وفي عيوني شكوك ما لها عددُ
ألسنت أنت الذي علمتنا «ثقة»
إن النجوم تنز الضوء لا ترد
ويحي حروفي التي تبكيك صامتةً
سميرها الحزن والأوصال ترتعدُ
البرد بين ضلوعي من يدثره
غير الذي شعره حلو الغنا يعد

زرعت حرفاً له وزنٌ وقافيةً
وأثمر الحرف لكن آه لو حصدوا
لست الذي يمنح الآتين أغنيةً
بها الضياء وفيها النار تتقدُّ
لكن صوتاً من الأعماق يصرخ بي
لكي نذيب ثلوجاً فوق من جدوا
هل تذكرون؟ ديار العرب كان لها
في ملعب الخيل سيف قاطع ويد
إني أحسُّ أنيني ملء أوردتي
أنا اليتيم ومالي في الدنا أحدُ
خذي فديتك صمتاً قد ألوذ به
إذا تنازع عمري الخوف والجلد
فأنت أنت ضماد للجروح وما
نزف الجروح على حرفي له سندُ
يا زارع الطيب في آداب موطننا
عهد علينا سنسقي عمر من وُلدوا
تركت للجيل صوتاً ضاحكاً يقظاً
وموجعاً يطعن الأحباب ان جحدوا
والموجعات تشد الروح زارعةً
في تربة الحرف روحاً مالها جسدُ
مَنَيْتُ نفسي لحظاتِ ألوذ بها
أسقي ضريحك فيها عندما أرد





رشاء

شعر: عبد الرحمن المعاودة

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عَلَّمْ في وقاره وخصاله
انما المرء ذكره حين يأوي
وفقيد الكويت ابن سنان
كرس العمر جاهداً وهو يدعو
للتأخي والاتحاد وللسير
رحم الله ذلك الفضل الفذ
فلقد كان لي أخاً وصديقاً
سنة الله في الذين خلوا من قبل جلّ الأله في افضاله

فالتعازي لصحبه ولآله
قابلاً بعداً في الثرى لمآله
كسب المجده شامخاً في اختياله
قومه في قريضه ونضاله
لفك الأسير في اغلاله
وذاك النبيل في أفعاله
فعزيز عليّ فقد خياله
من قبل جلّ الأله في افضاله





شعر: كمال عبد الرحيم الوحيدي

إلى آل سنان وللكويت ولكل اديب وشاعر اقدم تعزيتي بالشاعر عبد الله
ابن سنان بن محمد آل سنان الذي لاقى وجه ربه الكريم يوم الاحد ١١ صفر
الخير ١٤٠٥ هـ الموافق ٨٤/١١/٤م

في ذمة الرحمن يا ابن سنان هذا المصير وسنة الديان
فالموت حق والبقاء لواحد وله المآل ومرجع الانسان

سبحانه من خالق سلطان
وعليه يُعرض برُّنا والجاني
ولحقت ركب الراحلين الفاني
والأمس كنت سويجع الافنان
ومن الكويت تجود بالأوزان
شعرا يفيض بصادق الوجدان
كانت منارا سالف الأزمان
باتت تتوق لمنقذ رباني
في الهند والاقصى وفي الأفغان
تشكو الى القهار من عدوان
تبدى الطريق لأمة القرآن
وبه ندافع عن ذوي الإيمان
نستلُّه ونهيب بالفرسان
فقد القريض بذاك حدَّ سنان
وأسير خلف النعش والجثمان
ومشاطرًا في هذه الأحزان
والله أسأل ان يصون لساني
ويحمله في جنة الرضوان
حبا نقيًا من نقاء جناني

بالموت قد قهر الخلائق كلها
(أغنى) و (أفنى) ثم أفنى خلقه
ياشاعر القطر الشقيق تركتنا
عبد الإله رحلت عن أوطاننا
طويت بموتك صفحة وضاء
داعبت أعناق القريض مسطرا
غردت في قمم الكويت لأمة
أضحت محطاً للسهام تنوشها
أضحت تسيل دماؤها مهراقة
في كل قطر تستغيث جراحنا
والشعريا عبد الإله مشاعل
هو فكرة وعقيدة ورسالة
ديواننا منذ القديم وسيفنا
فإذا فقدنا فارسا من أهله
ولكم وددت بأن أكون مودعا
وأصافح الأهل الكرام معزيا
لكن حُرمت وليس ذاك بخاطري
ويُنيل عبد الله من رحماته
ولخالد مني العزاء وأهله

قطر - الدوحة





إن الصمت في الرشاء أبلغ



صالح الشاذلي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بماذا يرثي الشاعر...؟
وبماذا ، يرثي عبدالله السنان...؟
هل بكلماتي أرثيه ، وما الكلمات ، إلا جوار عنده ، وما القوافي ، إلا اماء ،
عند أعتاب بيته !

أأرثي « عبدالله سنان » بالكلمة ، وكل ما أملك من كلمات ، هي بعض
نوافله ، وجزء من زكاته الشعرية !

ان يموت شاعر ، فان ذلك يعني ، أن سراجا قد انطفأ ، وان عينا قد اصابها
العمى الدائم !

وان يموت « عبدالله السنان » عن سبعين عاما ، فذلك يعني ، ان سبعين سنة
من تاريخ الكويت ، قد ماتت ، ووريت الثرى !

من عرف الكويت النفطية ، فانه لن يستدل على عنوان « عبدالله السنان » ،

ولن يعرفه ، ولكن من عرف الكويت البحرية ، المغبرة الجائعة ، سوف يعرف بسهولة ، عبدالله السنان ، وماذا يعني هذا الانسان ، في تاريخ الكلمة الكويتية . . !
كان عربيا ، تضنيه عرويته ، فما يجد غيرها ، دواء يتطبب به ، فكانت عرويته ، داءه ودواءه !

ما غادرته مناسبة عربية ، وما غادرها ، الا وقف فوقها ، لينشد لها شعرا ، يرقص فيها عرائسه ان كانت فرحا ، ويشحذ مهنده الاصيل ، ان كانت حربا ، ويكتب لها بدموعه ، ان انطوت على مأساة وما أكثر ما كتب بدموعه !!

ان لم تخذلني الحقيقة - وما أظنها بخاذلتي - فان « عبدالله السنان » هورائد الشعر الساخر في الكويت ، وكان شعره الساخر ، يجري على السنة الكويتيين الستينيين والسبعينيين ، ومن دونهم ، وربما ومن ناهزهم عمرا ، فكانوا رواة ومستطبيه ومستعذبيه !

« عبدالله السنان » ايها الراقد في قبرك ، نشرت كلماتي هذه ، وسطرت سطورتي ، في موتك ، وملاك الخوف ماثل في داخلي ، خشية أن تكون كلماتي الحية ، أصغير كثيرا ، من كلماتك وانت ميت !

أيها الشاعر . .

ما أصغرنا ، في حياتنا ، وان عظمتنا !!

وما أعظمتنا في مماتنا ، وان صغرنا !!

الكويت تفقد شاعراً كان من حداة العمل المتومي والوطني



بمقام: نظام الـ Archive ودة

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

موهبة فطرية ، وحاسة التقاط تصل إلى حدود التسجيل التلقائي أحيانا للأحداث وردود فعل حاضرة تلقائية تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية قطريا وقوميا .

كتب بالفصحى . . ودواوينه الأربعة كانت سجلا للكثير من الأحداث والقضايا وتفصيلات الحياة الاجتماعية في الكويت اعتبارا من الثلاثينات حتى أيامنا هذه .

وكما أن الواقع المحلي وتطوراته كان له صدى في شعر الشاعر ، فإن الواقع القومي العربي وما استجدت عليه من أحداث وما طرحته في ساحاته من قضايا ، كان

له حضوره وصداه في قصائده ، بل وشملت اهتماماته بعض القضايا الانسانية أيضا .

الصورة الشعبية التلقائية ذات رد الفعل المباشر العفوي الفطري هي الغالبة والكثيرة في قصائده .

السخرية والتصوير الكوميدي الكاريكاتوري للكثير من الأشياء والأمور الحياتية تكررت كثيرا في أشعاره ، كما وتكررت الكثير من الملح والطرائف والنوادر .

شوق النفس

إذا شأقتك نفسك لنمط الحياة ، للناس ، للمباني ، للكدح والعرق ، للبساطة ، لروح التفاني والألفة بين الناس ، لنمط العلاقات ، لأساليب الانتاج ، للتفصيلات الدقيقة للحياة في كويت الثلاثينات والأربعينات فما عليك إلا بقراءة دواوين الشاعر عبدالله سنان محمد السنان الأربعة .

صور مباشرة وعفوية ، لكنها ذات تصوير دقيق للمرحلة ، والبشر ، ونمط العلاقات وطبيعة الحياة .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ذاك هو بعض ما يتضمنه شعر الشاعر عبدالله سنان الذي فقدته الكويت بتاريخ ١٩٨٤/١١/٤ .

والشاعر من مواليد سنة ١٩١٧ ، عاش غط الحياة الشاقة في الكويت بطولها وعرضها وأعماقها أيضا ، سافر وتغرب ومارس أكثر من عمل ومهنة عاش وتعايش مع كل ما وعته ذاكرته ، وكل ما صادفه في حياته . وكل ذلك كان له صدى في شعره ، بل والتسجيل الدقيق لها أيضا .

القول !

هو غط آخر من « القوالين » أو الشعراء الشعبيين ، الذين يعالجون كل ما يصادفونه ويواجهونه في الحياة بالشعر . ولذلك فإن الكثير منه يأتي سريع السبك ،

ملهوفا لتسجيل الموقف ، ومتوجها مباشرة إلى تجسيد المضمون ، معتمدا على ردود الأفعال المباشرة الانفعالية في الكثير من الأحيان دون التفات متأن للصنعة الشعرية أو البحث عن الصور الموحية ذات العمق والغور الفلسفي .

والشاعر عبدالله سنان من جيل تربى في الحضان الفطري للانتفاء القومي . إن طلقة الرصاص في جبال الأوراس . . كانت ترتج لها النفوس وتتعاطف معها ، وتجذب نفسها منحازة إليها دون نقاش أو تردد أو مراجعة إن كان في الكويت أو البحرين أو اليمن أو مصر أو الشام أو بغداد .

الامتداد القومي

جيل مشيمته كانت ولا زالت مربوطة في « الكل » القومي ، وليس في الجزء الاقليمي أو الفطري ، وطنه هو الامتداد الكبير بين المحيط والخليج ، وليس الحدود السياسية التي رسمها وخطتها الاستعمار . لذلك . . فإن صرخة الألم التي كان يطلقها الفلسطيني وهو يتلقى رصاص الاعداء الصهاينة ، أو يواجه نازلات التشريد والافتلاع عن الأرض والديار ، فإنها كانت تنزل كالسكين في قلوب تلك الأجيال في شتى أقطار العروبة ، وكما أن الألم وأمراض الوطن كانت تعني تلك الأجيال وتجذب من لدنهم التجاوب الفطري التلقائي ، فإن الآمال ، الفرح ، الطموحات . . . كانت تتلاقى وتتداخل . . أيضا ، ويصبح فرح المغربي باستقلاله ، وتتويع نضالاته بخروج المستعمر ، عيد تقام له الزينات في أحياء الكويت . . والشام ومصر والعراق واليمن وليبيا والسودان الخ . .

وهكذا كان عبدالله سنان . . . من جيل ، رضع العروبة مع حليب الأمهات ، وتربى وهو يثلغ بالأماني الوحدوية . . وعاش صباه وشبابه وهو يرفد ويشارك في كل النضالات القومية الوحدوية . والنضالات الانسانية المشروعة في كل أنحاء العالم .

الرطانات

لكن وعندما شاخ هذا الجيل فإنه عاش رطانات غريبة عجيبة على كل تاريخ

حياته ، وعلى كل ما اعتبره من المسلمات في الحقل القومي والوطني .

إنها .. الردة .. هكذا قال ذاك الجيل وما زال يقول ، إنها مؤامرة التفتيت وزرع السوس من الداخل ، هكذا مازال يعيد ويكرر أفراد ذلك الجيل . وهكذا تحولت « الحروب » وتوجهات النضال ، لقد زرعوا السوس .. فاشتد وقوي ، وأصاب الجسم الكبير الوهن .. مع ذلك فإن ذلك الجيل وغيره من أجيال يقولون .. أنه لا يصح إلا الصحيح ، وإن « موجة » الرطانات لا بد أن تنحسر .. وإن موجها سيتكسر على صخور الحقيقة والتاريخ والجغرافيا والنفوس التي تملك قيم النضال ومقارعة الخطوب .

وموجات « الرطانات » الغربية لها في تاريخنا جذور ، لكنها أبدا لم تكن إلا موجة عطالة وبطالة زمنية لا يكتب لها البقاء مهما استشرت وتمددت واستفحل خطرها .

هل نعزي أنفسنا أم نسجل الأماني دون أن نرفدها بتواصل الفعل والعمل ؟

إذا كان جيل عبدالله سنان قد أخذ الموت يحصده ، فإن ما زرعه وسقاه هذا الجيل لم يكن حراثة في البحر ولا زراعة في بطون صخر الصوان .

لقد حرثوا وزرعوا في أذهان وأفئدة أجيال ، صحيح أنها مغلوبة على أمرها لا يام أولسنين معدودة ، لكنها أبدا لم تستسلم ولم تلق بالمبادئ والقيم على قوارع الطرق أو لعصف الرياح .

إنها مازالت مزروعة في سويداء القلوب ، وفي مراكز الصحو في العقول .. وزمنها آت لا ريب في ذلك مهما طال زمن « الردات » أو قصر .

فالرحمة لعبدالله سنان .. ولجيله وللأجيال التي لازالت تعض بالنواجذ على المبادئ والقيم التي تربى في أجوائها وعليها ، الصبر والصلابة ومواصلة مسيرة الاحتضان والوقوف بوجه السوس والرطانات وزارعيها .

“اطليعة”

١٩٨٤ / ١١ / ١٤



الشاعر الذي فقدته الكويت

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يعتبر عبدالله سنان (١٩١٧ - ١٩٨٤) الشاعر الذي فقدته الكويت مؤخرا ، واحدا من أكثر شعراء الكويت تواجدا في الساحة الأدبية ، ومن أكثرهم انتاجا ، وقد عرف عن الشاعر بأنه لا تفوته مناسبة محلية أو عربية أو عالمية هامة ، الا وعبر عنها شعرا حتى صار من الممكن التأريخ لكثير من المناسبات من خلال معرفة تواريخ قصائده .

وقد عرف الشاعر الراحل بالطيبة والعفوية اللتين تنعكسان بشكل انساني على علاقاته بالشعر وبالناس . واذا كان - كانسان - قريبا من قلوب عارفيه ، فانه في شعره كان قريبا من الناس ايضا ، من اهتماماتهم ، ومعاشرهم ، ومن أساليب تعبيرهم ايضا ، لأن الشعر الذي يجيء عفويا على لسانه يقترب من اللغة التي يتعامل بها



المشاعر عبد الله سنان / الثالث من بين الجالسين على المشمال

الناس ، في حياتهم العادية ، دون تكلف ، الا ما تقتضيه لغة الشعر من ان تكون فصيحة .

وهذه العفوية كان لها حدان في شعره : اولهما يميز الشعر ببساطة ، وهو الحد الذي كانت تتميز به بعض القصائد التي يصل فيها الى التعبير المناسب . أما الحد الثاني ، فكان يقرب شعره من التعبير العامي ، فيبتعد به عن القوة الشعرية ، خاصة عندما يقع الشاعر في سهو لغوي ، أو خلل في الوزن ، يوحي بان الشاعر لا يعتمد الى مراجعة قصيدته بعد الدفقة العفوية الأولى .

تكمن اهمية الشاعر اذن في بساطة شعره من ناحية ، وفي متابعته للقضايا الانسانية ، بكل مستوياتها من ناحية اخرى . . فالقارئ يستطيع أن يجد في شعره قصائد عن المهري وحفر الشوارع .

وقد ضمت قصائد الشاعر اتجاهات متنوعة كلها تصب في قضايا الانسان فهي قد تكون قضايا قومية ، وقد تكون قضايا فردية . . أو بين هذين الاتجاهين ، فالشاعر لا يخون أحاسيسه وانفعالاته ، ولا يختارها ، انه يعبر عنها كما تحيى ، في الموقع الذي تحيى فيه ، أو من المناسبة التي ينظم فيها القصيدة ، فحين انتخبت نخبة في مجلس الأمة من الشباب (١٩٦٣) حياهم الشاعر :

ايه يا قوم جاء دور الشباب فلنبارك لمجلس النواب

وهو يحى الاستقلال وعلان الدستور ، ويحيى الثورة المصرية في عيدها ، ويحيى ثورة الجزائر ، ويتحسر على فلسطين ، ويبكي الاطفال في حريق بسوريا ، ويقارع المستعمر الانجليزي ، ويتحدث عن عدوانه في بورسعيد ، ويحتفل بذكرى الرسول . . ولا تكاد مناسبة تفوته دون أن يقول . هذا الاهتمام الشامل يجعلنا نتصور كيف يمكن أن يكون شعر الشاعر العفوي على لسانه ، يطلبه فيجواب ، وهو في الوقت نفسه يجعلنا نحس بأن هذه الاستجابة قد تخذل الشاعر في التعبير ، وان اعطتنا الاحساس بانه يعيش مع الناس ، ومنهم يأخذ مواضع شعره المتنوعة .

ولأن بساطة الشاعر هي سمته الاساسية ، فقد كان تعبيره عن البسطاء من
أجمل شعره ، فقصيدته « المهري » مثلاً حظيت بأكبر كمية من الشهرة بين شعره كله ،
لأنها كانت - في حينها - ظاهرة يتلمسها أغلب الناس .

دعوا المهري يكتسب الحلالا
ويسعى كي يد به العيالا
دعوه انه يسعى شريفا
ولا يرجو سوى المولى تعالى
له نفس اعز من الدراري
ونفس الحر تعتق الجبالا
يموت ولا يمد اليك كفا
وما شاهدته احترف السؤال

وبسبب هذا الاحساس الانساني بالمظلومين ، كانت للشاعر مواقف تنم عن
نصرتهم حيث وجدوا في المجتمع ، وهي في كثير منها مواقف متقدمة في الوعي ، فحين
يرى حالة الفتاة في المجتمع ، وبصوره ، يصرخ فيها :

بالله ايتها الفتاة
على الغبا والجهل ثوري
ثوري على القيد الثقيل
وحطمي على الصخور
وتحرري من كل
رجعي يعوقك بالمسير

وهو حين يخاطب النشء الجديد ، يوصيه بما يستحق ان يوصى به :

أمامك لا ترجع القهقري
ومهد من الدرب ما استوعرا

وواصل نضالك ان النضال
به تبلغ المطلب الاوفرا
ولا تنزل في مهاوي الضلال
فحسبك من جهلنا ما ترى

واذا كانت جديته واضحة في المواضيع التي تطلب الجدية ، فان الحس الفكاهي
في شعره كان من أبرز سماته ، خاصة عندما يكون الأمر متعلقا بواقع ثقيل كواقع
العدو الأول :

الانجليزي الخبيث

هو العدو الأول

وهو الشتاء بعينه

وهو البلاء المنزل

يأتي اليك كزائر

والشر ساعة ينزل

لبق اذا طرق الحديث

وفي يديه المنجل

وكأنه وهو المراوغ

بالتملق اعزل



ومثل هذا التعبير يوحى بمعرفة عميقة لطبيعة المستعمر .

وقد ظلت قضايا الانسان شغل الشاعر الشاغل منذ بدأ ، ولعل ما يشير الى
ذلك قصيدته في فلسطين (١٩٤٨) التي تشير الى احساسه القومي المبكر :

ايفلح مستقبل العرب

وهل لهم عزة ترتقب

اعرب وهم طوع أمر الهوى

واخوانهم من ضنى في كرب
اعرب ولا يملكون سوى
المنصات يلقون فيها الخطب
تداس كراماتهم بالنعال
وهذا يهان وهذا يسب

وقد ظل الشاعر حتى آخر قصائده متميزا بهذا الاحساس ، الذي تجاوز به
الكثيرين من الشعراء والشعر .
رحم الله الشاعر . . ونفع الاخرين بما أعطى .



جريدة الوطن - ص ٢٧ - ٨٤/١١/٦

المقتبس في اللغة والنحو والأدب

الحلقة السادسة عشرة

ARCHIVE

<http://Archivebera.Sakhril.com>

سعود
الزبيد



١٣٨ - نحويون وشاعر :

هذه القصيدة لعمار الكلابي . قال أبو البقاء العكبري في شرح ديوان المتنبي :

قال ابن فورجة : عمار الكلابي : رجل محدث لحنة .

قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
معنى خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
وذاك نصب ، وهذا ليس يرتفع

ماذا لقيت من المستعربين ومن
إن قلت قافية بكراً يكون لها
قالوا لحت وهذا الحرف منخفض

وحرّضوا بين عبد الله واجتهدوا
 كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم
 فقلتُ واحدةً فيها جوابهم
 ما كلُّ قولي مشروحاً لكم فخذوا
 حتى يصيرَ إلى القوم الذين غُدّوا
 لأنَّ أرضي أرضٌ لا تُشبَّ بها
 وبينَ زيدٍ فطال الضربُ والوجع
 وبين قومٍ على إعرابهم طُبِعوا
 وكثرة القول بالايجاز تنقطع
 ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
 بما غُذيتُ به والقول يجتمع
 نارُ المجوسِ ولا تُبني بها البيعُ

١٣٩ - الحسنة بعشر أمثالها :

نقل هذه الحكاية من كتاب (تعليق من أمالي ابن دريد) تحقيق الاستاذ مصطفى السنوسي ، وقد صدر هذا الكتاب عن قسم التراث العربي وهو واحد من الاقسام التابعة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب . وقد حقق الاستاذ السنوسي الامالي عن نسخة فريدة مروية بأسانيد متصلة بابن دريد رحمه الله . وقد صدر الكتاب هذا العام - ١٩٨٤ وهو من الكتب الممتعة . وسننقل في هذا المقتبس إن شاء الله في قادم الحلقات من هذه الامالي ما يروق .
 قال محققه :

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

وتجمع مصادر ترجمته على وصفه بالكرم والسخاء والشجاعة والنجدة ، وتسوق خبراً عن أن سائلاً سأله مرة شيئاً ، ولم يكن عنده سوى دنانير من نبيذ ، فوهبه له ، فأنكر عليه بعض غلمانته ، وقال : « تتصدق بالنبيذ ؟ » فيجيبه : « لم يكن عندي شيء سواه » ، ثم لم يلبث أن أهدي إليه عشرة دنانير من النبيذ ، فقال لغلامه : « أخرجنا دنانير فجاءنا عشرة » .

١٤٠ - اعراب الفاتحة :

سألني حرسك الله بالتقوى أن أعرب لك أم القرآن وفاتحة الكتاب ، بعد أن بسطت لك الحرف في إعراب الصمدية نقلاً عن الرجال الثقة . وقلت : ما كان أحوج شباب اليوم لكي يستقيم لسانهم الى الاعراب . . فدللتك على الشواهد

واعرابها والى ما أملاه العظام في إعراب القرآن . . فكان جوابك الاصرار . ولقد قلت لي : إن من واجب هذا المقتبس في كل حلقة من حلقاته إعراب شاهد من شواهد الشعر أو إعراب آية . . فأجبتك : إني أدنى مما تظن وأفقر مما تعتقد ، والشواغل تحتضني فلا أجد متسعاً من وقت . وما هذا المقتبس الا جذاذات سجلتها على هوامش الكتب حين أقرأها ، وإني استلها اليوم دون عناء . وليس من هم هذا المقتبس ان ينحو نحو علم بعينه أو يركز على موضوع واحد لا يغادره . وقلت لك قولاً كثيراً لا استحضره ولا يحضرني الساعة . لكنك لم تتقع بهذه الردود ، ولم يشفع لي عندك عجزى وقصوري . فاستجبت لرغبتك لما لك من منزلة في نفسي ومن مكانة .

واعلم ان النحاة تجاوزوا في الاعراب خط المصحف الشريف المعروف بين الجمهور الذي رسمه عثمان بن عفان رضي الله عنه والصحابة ، فأعربوا السور والايات بكل ما هو معلوم من وجوه القراءات صحيحها وشاذها مما أبعد المسترشد ونأى بذى الحاجة . وجمعوا لك من وجوه الاعراب ما ظنوه صواباً ، لذا سأعرب لك الاستعاذة والبسملة على طريقة الاقدمين ومسلك المتأخرين من النحاة ، وستجد فيما سلكوا دربا صعبا ومسلكا وعرا ، ثم سأعرج وإياك على الفاتحة فأعربها بأيسر سبيل غير ملتفت الى مسالكهم في اعرابها الا ما دعت اليه ضرورة لما أعرف من حرصك على ما هو خير ولنفورك عما ينأى بذوقك السليقي السليم فأقول والله المستعان :

(أَعُوذُ) : فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم . وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنا . (بالله) : جار ومجرور متعلق بأعوذ . (من الشيطان) : جار ومجرور متعلق أيضا بأعوذ . (الرجيم) : فعيل بمعنى مفعول ، نعت للشيطان مفيد للذم . وقيل هو فعيل بمعنى فاعل أي يرجم غيره بالاغواء .

(بسم) : الباء أصلية ولا عبء لمن قال غير ذلك ، فهي محتاجة لمتعلق تتعلق به ، وهو إما فعل على رأي الكوفيين : ابتدأت ، أبدأ ، قرأت ، أقرأ . . الخ . وقدره البصريون اسما محذوفا ، ابتدائي ، قراءتي . . الخ .

فالباء في (بسم) متعلقة بمحذوف فعند البصريين المحذوف مبتدأ والجار

والمجورور خبره والتقدير : ابتدائي بسم الله أي كائن باسم الله . وعلى رأي الكوفيين ، الجار والمجورور في موضع نصب على المفعولية بالفعل المحذوف .

ولأبي البقاء زيادات ، وإن شئت مزيدا مما أشكل عليّ فهمه فاقراً حاشية الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية في علم النحو للشيخ خالد الأزهرى لتزد من النحو بعدا .

ولفظ الجلالة (الله) مجرور بالاضافة . وتغلظ لام الله إذا تقدمته ضمة أو فتحة تفخيماً لذكره وإجلالا لقدره وليكون فرقا بينه وبين اللات .

(الرحمن الرحيم) : صفتان ، فجرهما على الصفة ، والعامل في الصفة هو العامل في الموصوف . ويجوز نصبهما على اضممار أعني ، ورفعهما على تقدير هو وقيل : إن الرحمن بدل على اعتبار أنه علم ، وقيل : إن الرحيم بدل أيضا لأنه علم وقيل إنه نعت للرحمن الذي جاء في القرآن كثيراً متبوعاً لا تابعا . وقال بعض المتأخرين : اشتهر في (الرحمن الرحيم) بحسب الاعراب تسعة أوجه : جرهما ورفعهما ونصبهما . (وقد ذكرنا لك ذلك) ورفع الأول ونصب الثاني وبالعكس ، ورفع الثاني ونصبه مع جر الأول . ويمتنع فيها جر الرحيم مع نصب الرحمن أو رفعه . (وهذا مما لا طائل تحته) . وقد أغفلنا أشياء لا حاجة لها وانما ذكرنا لك هذا التشدد لنريك كيف كانوا في العصور المتأخرة يعربون فيبعدون الطالب عن مطلبه والتلميذ عن مقصده الاسنى ، وهو تقويم العبارة واللسان بلا شطط أو تقعير ، (إعراب الفاتحة) : (الحمدُ) مبتدأ ، (لله) خبر ، (ربُّ) نعت أول لله وهو مضاف . و (العالمين) مضاف إليه . (الرحمن) نعت ثان لله . (الرحيم) نعت ثالث لله . (مالك) نعت رابع لله وهو مضاف اضافة محضة . (يوم) مضاف إليه ومضاف أيضا . الدين مضاف إليه . (وإياك) مفعول مقدم لنعبد (نعبدُ) فعل مضارع وفاعله مستتر فيه وجوبا . تقديره نحن . (وإياك) مفعول لنستعين . (نستعينُ) فعل مضارع معطوف على نعبد وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره نحن . (إهدِ) فعل دعاء وفاعله مستتر فيه وجوبا . (نا) مفعوله الأول . (الصراط) مفعوله الثاني . (المستقيم) نعت

الصراط . (صراط) صفة للصراط المستقيم ، ويجوز أن يكون بدلا من الصراط وهو بدل كل من كل . (الذين) مضاف اليه وهو اسم موصول يحتاج الى صلة وعائد . (أَنْعَمْتَ) فعل وفاعل صلة الذين . (عَلَيْهِمْ) جار ومجرور متعلق بأنعمت . والهاء والميم ضمير عائد على الذين . (غَيْرَ) نعت الذين ، وبدل منه . (المغضوب) مضاف اليه . وهو اسم مفعول استغنى عن جمعه لجمع الضمير بعده في عليهم . قال الطبرسي : ولم يجوز ان يقال (غير المغضوبين عليهم) لان الضمير قد جُمِعَ في عليهم فاستغني عن أن يجمع المغضوب . وهذا حكم كل ما تعدى بحرف جر . تقول : رأيت القوم غير المذهوب بهم ، فاستغنيت بالضمير المجرور في بهم عن جمع المذهوب . (عليهم) جار ومجرور متعلق بمغضوب في موضع رفع على أنه نائب الفاعل (ولا) الواو عاطفة و (لا) صلة لتأكيد النفي المستفاد من غير . (الضالين) معطوف على المغضوب .

١٤١ - بنو العم :

قال ابو الفرج في الاغانى : أصل بني العم كالمذفوع يقال : إنهم نزلوا بني تميم بالبصرة في أيام عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم فقال الناس : أنتم وإن لم تكونوا من العرب إخواننا وأهلنا وأنتم الانصار والاخوان وبنو العم فلقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب . وقال بعض الشعراء وهو كعب بن معدان يهجو بني ناجية ويشبههم ببني العم :

وجدنا آل سامة في قریش كمثل العم بين بني تميم

ويروى في سلفي تميم . (أخبرني) عيسى بن الحسين عن حماد بن اسحق عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة قال لما توافق جرير والفرزدق بالمربد للهجاء اقتتل بنو يربوع وبنو مجاشع فأمدت بنو العم بني مجاشع وجأؤهم وفي أيديهم الخشب فطردوا بني يربوع فقال جرير من هؤلاء ؟ قالوا بنو العم فقال جرير يهجوهم :

ما للفرزدق من عز يلوذ به الا بني العم في أيديهم الخشب

سيروا بني العم فالأهواز داركم ونهر تيري ، ولم تعرفكم العرب

١٤٢ - درجات التقوى :

جاء في كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) تفسير (محمد بن أحمد بن جزري الكلبي) قوله :

درجات التقوى خمس : أن يتقى العبد الكفر ، وذلك مقام الاسلام ، وأن يتقى المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة ، وأن يتقى الشبهات ، وهو مقام الورع ، وأن يتقى المباحات وهو مقام الزهد ، وأن يتقى حضور غير الله على قلبه ، وهو مقام المشاهدة .

١٤٣ - النوري يصف العهد النبوي الذي كتبه لتميم الداري :

قال (النوري) في الجزء الثامن عشر من (نهاية الارب) : ذَكَرُ وفد الدارين (نسبة الى جدهم الدار بن هاني) وما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما اُخْتَصَّ به تميم الداري وإخوته .

قال محمد بن سعد بسنده الى عبيد الله بن عبد الله ، وروح بن زُبَاع الجُدَامِي عن أبيه قالوا : قدم وفد الدارين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفُهُ من تبوك وهم عشرة نفر ، فيهم تميم ونُعَيْم ابنا أوس بن خارِجَة بن سُود بن جذيمة بن ذراع ابن عدي بن الدار بن هاني بن حبيب بن ثُمارة بن لُحْم ، ويزيد بن قيس بن خارِجَة ، والفاكه بن مالك النعمان بن جَبَلَة بن صَفَّارة بن ربيعة بن ذراع بن عدي بن الدار ، وجبلَة بن مالك بن صَفَّارة ، وأبو هند والطَّيِّب ابنا ذر - قال ابن إسحق : (بر) وهو عبد الله بن ذر بن عَمِيَّة بن ربيعة بن ذراع ، وهاني بن حبيب ، وعزيز ومرة ابنا مالك بن سواد . قال ابن إسحق : عَرَفَة . وقال ابن هشام : عزة . وقال ابن إسحق في مرة : مروان .

قال ابن سعد : فأَسْلَمُوا وسمَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الطيب عبد الله ، وسمى عزيزاً عبد الرحمن .

قال : وأهدي هانيء بن حبيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر وأفراساً وقباء^(١) مُخَوَّصاً بالذهب ، فقبل الأفراس والقباء وأعطاه العباس بن عبد المطلب ، فقال : ما أصنع به ؟ قال : « تنزع الذهب فتحليه نساءك ، أو تَشْتَفِّقَه ، ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه » فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم .

قال وقال تميم : لنا جيرةٌ من الروم ، لهم قريتان يقال لأحدهما جَبْرَى^(٢) والأخرى بيت عَيْنُون ، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي ، قال : « فهما لك » فلما قام أبو بكر رضي الله عنه أعطاه ذلك ، وكتب له به كتابا ، وأقام وفد الدارين حتى توفي رسول الله ﷺ ، وأوصى لهم رسول الله ﷺ بِجَادَ^(٣) مائة وَسُقٍ من خيبر ، هكذا حكى ابن سعد في طبقاته .

وشاهدت أنا عند ورثة الصاحب الوزير فخر الدين أبي حفص عمر ، ابن القاضي المرحوم الرئيس مجد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليل التميمي رحمه الله ، كتابا يتوارثونه كابرا عن كابر ، يقولون : هو كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لتميم الداري وإخوته ، وهو في قطعة من آدمٍ مُرَبَّعة دون الشبر قد غُلِّفَتْ بالأطلس^(٤) الأبيض ، يزعمون أن ذلك من خُفِّ كان لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد بقي بهذه القطعة الأدم آثارُ أحرفٍ خافية ، لا تكاد تبين إلا بعد إمعان التأمل ، وتحقيق النظر ، وعلى هذه القطعة الأدم من الجلالة ولها من الموقع في النفوس والمهابة ما يقوَّى أنها صادرة عن المحل المُنِيف^(٥) ، وقرين هذه القطعة الأدم قرطاس أبيض قديم ، يزعمون أن أسلافهم نقلوا ما فيه من الكتابة من كتاب رسول الله ﷺ ، قبل أن تزول حروفه . وفيه تسعة أسطر بما في ذلك من البسمة ، وقد رأينا أن نضع ذلك في هذا الكتاب على هيئته في العدد ، وإن لم يوافق الخط ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما انطأ^(٦) محمد رسول الله لتميم الداري وإخوته جبرون والمرطوم^(٧)

وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن
 نطيه بَتْ بدمتهم ونفذت وسلمت ذلك
 لهم ولأعقابهم فمن اذاهم اذاه
 الله فمن اذاهم لعنه الله شهد عتيق
 ابن ابو قحافة^(٨) وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان
 وكتب علي بن ابو طالب وشهد^(٩) .

هكذا شاهدت تلك الورقة التي هي قَرِينُ الكتاب ، والكتاب بأيديهم إلى وقتنا
 هذا ، وهو العشر الآخر من ذي القعدة سنة ست عشرة وسبعمائة . وهذه الضياع
 الأربعة المذكورة بأيديهم إلى وقتنا هذا ، لا يَنَازِعُونَ فيها . وكان صاحب الوزير فخر
 الدين عمر بن الخليلي رحمه الله ، إذا نابته نائبة ، أو صودر أو أُوذِيَ بوجه من وجوه
 الأذى ، توسل إلى الله تعالى بكتاب نبيه ﷺ ، وأظهره للملوك ، فكفوا عن طلبه ،
 وافرغوا عنه .



ARCHIVE

١٤٤ - الموالد النبوية :

قال السيد (أحمد زيني دحلان) رحمه الله في كتابه (السيرة النبوية والآثار
 المحمدية) المطبوع على هامش السيرة الحلبية : جرت العادة أن الناس إذا سمعوا ذكر
 وضعه ﷺ يقومون تعظيماً له ﷺ وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي ﷺ وقد
 فعل ذلك كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم قال الحلبي في السيرة فقد حكى
 بعضهم أن الامام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول
 الصرصري في مدحه ﷺ

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط أحسن من كتب
 وأن تنهض الاشراف عند سماعه قياماً صفوفاً أو جُثياً على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك

المجلس . وعَمِلَ المولد واجتماعُ الناس له كذلك مستحسن قال الامام أبو شامة شيخ النووي ومن أحسن ما ابتدَعَ في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزيتة والسرور . فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مُشعرٌ بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما مَنَّ به من ايجاد رسول الله ﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين . قال السخاوي ان عمل المولد حَدَثٌ بعد القرون الثلاثة ثم لازال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في ليلته بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم . وقال ابن الجوزي : من خواصه انه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام . وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل وألف له الحافظ ابن دحية تأليفا سماه التنوير في مولد البشير النذير فأجازه الملك المظفر بألف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمل في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهبا شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته في الملك الى أن مات وهو محاصرُ الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان حكى لي بعض من حضر سمط المظفر في بعض المواليذ فذكر أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار واستنبت الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت في السنة وهو ما في الصحيحين أن النبي ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا فقال نحن أولى بموسى منكم .

١٤٥ - غيرة :

قال عمر بن أبي ربيعة :

خبروها بأنني قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا

ثم قالت لأختها ولأخرى جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت الى نساء لديها ما ترى دونهن للسر ستر
ما لقلبي كأنه ليس مني وعظامي أخال فيهن فترا

١٤٦ - بُنِي وَبُنَيَّ وَبُنَيَّ :

« بني » إن ضمته فهو منادى مفرد ، وإن كسرتة فهو منادى مضاف وقد حذف ياء الإضافة . وإذا كان ياء الإضافة في المنادى يحذف في نحو يا غلام لأن الكسرة تدل عليه ، وهو واقع موقع ما يحذف في هذا الباب وهو التنوين ، وباب النداء حذف ، لكثرة الاستعمال ، فهو في بُنَيَّ أولى بالحذف ، لاجتماع الياءات والكسرات في آخرها .

وكثر في الاستعمال المعاصر « بُنَيَّ » بفتح الياء ، وهو استعمال صحيح وردت به قراءة عاصم في قوله تعالى : « يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا » وقرأ باقي السبعة بالكسرة اجتزاء بها عن الياء . أما قراءة عاصم فهي اجتزاء بالفتحة عن الألف ، وأصلها « يا بنيا » كما في قولهم « يا حسرتا » « ويا غلاما » .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الهوامش :

- ١ - قباء : ضرب من الثياب ، ومخوص : مطرز بالذهب ومزين .
- ٢ - جبرى كسرى وتسمى جبرون كزينون ، وهي مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام وغلب عليها هذا الاسم اليوم وفيها قبره عليه الصلاة والسلام يزار ، وفي رواية كعب الأحبار أنه دفن في قبر الخليل صلوات الله وسلامه عليه سارة والى جنبه إسحق ويعقوب . وعينون من قرى بيت المقدس بوزن هينون ولينون بسكون المثناة ؛ لفظ عبري .
- ٣ - في الناج عن الأصمعي : يقال لفلان أرض جاد مائة وسق ؛ أي تخرج مائة وسق إذا زرعت . وهو كلام عربي .

- ٤ - الأطلس : الحرير ، وليس بعربي
٥ - المنيف : المرتفع المشرف من أناف ينيف إنافة ارتفع وأشرف .
٦ - أنطى : أعطى ، بلغة أهل اليمن . التحقيق أنها لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار يجعلون العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء . وقد قريء بها « إنا أنطينك الكوثر » وهي قراءة الحسن وطلحة بن مصرف وابن محيصن ، وقراءتهم من الشواذ . وقد شرف رسول الله ﷺ هذه اللغة بالنطق بها فقال : « لا مانع لما أنطيت » في أحاديث . وقد تركنا الكتاب النبوي على وضعه كشرط المصنف حيث ذكره على هيئته .
٧ - مرطوم كذا في كل الأصول ، وصوابه مرطهوم كما في مستدرک التاج ، قال : « ومرطهوم اسم أرض جاء ذكرها في كتاب رسول الله إلى أبي شمر »
٨ - كذا في الأصل ، تركناه على شرط المؤلف .
٩ - الهوامش الأنفة نقلناها كما وردت في حاشية كتاب (نهاية الأرب) للنويري طبعة دار الكتب .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قصة قصيرة



بقلم: محمد المنصور الشقيا

ARCHIVE

المناخ : بذلك سيرة ذاتية من الأوهام

يعمل في إحدى مؤسسات الدولة في
مدينته التي فشل في الانفصال عنها .
ورغم ما في أعماقه من حزن بأن تلك
النقود القليلة . أقل من أن تذكر . غدا له
منزل خاص .
مضت خمس سنوات على زواجه .
شاركته (عواطف) شطف العيش
وسغب الحياة قنديلها الحب الذي لم
يتطرق اليه العفن لعلمها أنها رفيقة درب
منذ الصبا .

في الثلاثين من العمر يعيش حياة هادئة
بعيدا عن المشاكل . أمام عينيه مقولة في
أطار مذهب تقول (مهما جرى الإنسان
وراء الحياة فلن يلحق بها) . .

عدم مبالاته . . دفن أحلامه في
أعماقه وخلق لنفسه عالما غريبا من
الوحدة . جاعلا شخوص معاشته تلك
الوجوه التي يضافحها في الطريق لأناس
يجهل هويتهم . . . وانتمائهم . مؤلفا



عالم الوجوه التي يلقاها في الطريق . أو
يشاهدها في الأفلام السينمائية . وفي بطن
الكتب التي يقرأ . . . أصبح القاسم
المشترك . وهو يحدثها . . .

تكون اللذة رغم شعوره بدناءة عمله . .
وهو يسير معها في الأسواق او
المنتزهات . . .

ووجدها . كانت صديقة لزوجته
التقى بها كثيرا تفكر وتتحدث بحرية
متناهية رغم رنة الحزن التي تحاول وأد
الفرح المطل من عينيها .

أخذ يفكر فيها وضمها الى عالم الوجوه
التي يشاهدها ولا يحتك بها الا في تفكيره
شعر بأن هناك شيئا . . ! انما ما
هو . . ؟ لا يدري لكن رفضها أي دعوة

الذي أحيانا توصله فيها أحاسيسه بأنه تافه
حتى القمة .

اعتراه القلق . وسرت في أطرافه
رعشة الذل وتاه في ضباب الموم والآلام
المترسبة في أعماقه . ومع هذه العوامل ما
أن عرف من (عواطف) بأن عليه أن
يوصلها هي وصدقتها الى السوق حتى
كتب على بطاقة صغيرة . .

(أريدك . . أرجو ملاقاتك على انفراد)

وجدت البطاقة . فأخرجت قلمها
وكتبت في ذيلها كلمة واحدة (لا) . .

فوجئ بذلك رغم استعداده الفكري
لهذا الرد . انما شعر بشيء من الابتهاج
فكتب لها رسالة شرح فيها مقدار ارتياحه
لها وقربه منها .

* * *

الرسالة الأولى : . .

أحييك تحية الاخاء . . .

ما أشد دهشتي . عندما تصلب نظري
على البطاقة . . وأخذت أفكر . . ترى
ماذا يريد ؟ . . يا للغرابة . . ساورني
شعور غريب . . وظلال من الحزن
الأسود . .

قولك استغربت كلمة (لا)

لا غرابة في الأمر يا عزيزي . . يعني
الرفض طبعاً لا أريد الاحتكاك بك أنت
بالذات .

كيف أقابل الحسنة بالسيئة ان ذلك
خيانة . .

يؤنّبني ضميري لها ما حييت . .

ومشاعري نحوك شعور أخت . .

هو شعور نبيل وعواطف مقدسة . . .

لا داعي للقلق فالأمر جد تافه . .

اليك التفسير . . المرأة تبحث عن
الرجل . . أقصد الصغيرات اللاتي في

سن المراهقة . الرجل دائماً متزن راجح
العقل قلبه واسع والمرأة مخلوقة حساسة

ضعيفه - رب أجعلني على نفسي من
القادرين - لا تعي خطورة تصرفاتها .

لا معنى . عندي غير ذلك . .

ولماذا يا عزيزي لم تنم ليلتين . . لا بأس

عليك . . واسمح لي أقول لك

انك مصاب بالتهاب العواطف . .

هناك مسكن اسمه عواطف .

حظك مع النساء سيئ يخيل لي ان ذلك

أفضل فالنساء مثل البحر كلما شربت منه

ازددت عطشا . . ويكون الموت .

تقبل قبلاقي . . احتفظ بها . ان
المبذرين اخوان الشياطين . أرجو أن لا
يؤثر ردي عليك . .

سأحك الله وسأحني .

فهذه التصرفات الرديئة . .

والطيش . .

للساذجين سلام . .

* * *

الرسالة الثانية

أخي . .

تحية ناعمة . .

اتضح لي من خلال رسائلك أنك تقوم
بدور الطبيب الذي يحس نبض المريض
لكشف العلة . . . قد لا يفلح الطبيب
أحيانا .

لست أدري . ماهذه العاطفة التي
جاءت فجأة وبدون مقدمات . .

ان ما تشعر به رغبة طارئة فقط (لا
أقول طائش) انما هو احساس يساور
البعض . . .
لقد جبلنا هكذا . ان ما تحس به

(نحوي) ليس حب . . أنت واهم . .

متوتر الأعصاب مرهق .

هناك ما يضايقك . .

انا أخت تهمني سعادة أخي .

لا أريد أن أكون له مصدر قلق .

أنا لا أؤمن بشئ يدعى الحب ودائما أقف

ضد هذا التيار بشجاعة وجلد . .

قولك (العواطف تثور فجأة) لم أر ما

يثيرها دعك من روايات الرومانسيين .

قولك (لن أسكت حتى اكسب رضاك)

كسبت رضاك . وفزت بعطفي . أنا

جديرة بصدافتك . .

عزيزي لم تتعترف ذنبا ولكن الواجب أن

تتفادى مثل هذه المواقف . وان تقدر

موقفي بالذات .

امل ذلك .

قولك (لا اعتبرها خيانة) كنت أعني

نفسي لا أعنيك . . فقد بت أحس

بذنب . .

وأخيرا لا أحبك يا عبيط . . وشكرا .

* * *

فاصله :

لم ترد على رده وقررت أن تتجنب

ملاقاته . وفجأة اذ بها تقف أمامه قرر

ايصالها بعربته الى وجهتها . . فركبت في
المقعد الأخير . .

: ماذا جاء . . بك . .

: كنت قلقة خشيت أن عواطف عشرت
على رسائي . .

: هل أنا مجنون . . ؟

: نعم وعبيط . . اذ كيف تريد مني خيانة
صديقتي . .

: سوف أتابع . . حتى أذيب الجليد . .

: سوف تفشل . . !

وانتهت الطريق . . وانتهى الحوار .
كما فشل في الوصول حيث انتهت محاولاته
عند تلك اللحظة . مؤكدة أن كل محاولاته

مجرد أحلام يخشى الواقع منها . وبقيت
الرسائل زمنا طويلا في جيبه مخزجها بين
لحظة وأخرى مستعيدا كل سطر فيها مترقبا
أن يعلن جرس الهاتف هذه المرة مقدمها .
فغدا موطنا للشعور بالألم . وعاد الى
مرحلة الضياع والتفكك الداخلي فأخذ
يهرب الى خارج المدينة وحيدا يتجول في
الشعاب والأودية يفكر في لا شيء .

* * *

الرسالة الثالثة : -

أحبك .

لم أستطع قول ذلك في حينه . .
أخذت أفكر في محاولتك . ولم أصل الى
مرحلة الاقتناع كان أبي قاسيا غليظ القلب
لاهم له غير أن يرانا مترين تربية حسنة
(العصا) اسلوبه الوحيد جل ساعات
يومه عمل .

وعندما يعود الى الدار ويجدنا نبكي .
كل زوجة من زوجاته الثلاث تشتكي فلا
يجد غير العصا . حتى لا يعتدي أحدنا
على الآخر . .

لم يكن يفرق بين الفتاة والولد . .
سوى - أننا - حبيسات الدار .

وتزوجت لم أعرف غير تلك الليلة .
فماتت بقايا فرحة كنت قد بدأت في
تجميعها : انسان أمني لا يرى أبعد من
خطواته . . يعتبر المنزل غرفة نوم . .
يأوي اليها اخر الليل . وتهاوت أحلامي
ومطامحي . .

حتى أطفالي الثلاثة لم أعد أطيعهم . لم
أعد أشعر بهم ولم أحاول منحهم الحب
والحنان الذي أخذت أبحث عنه .

وجدت أني على شفا الهاوية .
واحدى شقيقتي تتخرج من الجامعة
وتتوظف . بل تجد من تحب لم تخف ذلك

فأنا صندوق أسرارها . لم تدرك ما معنى ذلك بالنسبة لي . . لقد انفجرت القنبلة الموقوتة . هربت من منزل زوجي . لأصبح امرأة مطلقة تطاردها الشائعات وتلاحقها الأقاويل . .

لم أعد أحترم الحب . . دافئة العواطف في جب عميق مع . . تصميم أن أصبح شيئا . فانكبت على القراءة . أقرأ كل ما يقع تحت يدي لأشغل وقتي . واعيد الحرارة الى أعماقي المتجلدة . محاولة مواصلة دراستي للحصول على شهادة ما . . ووجدتك

وبعد تردد طويل قررت أن أقول - نعم - ومع ذلك تذرعت بالصبر محاولة تلقي ندائك الأخير . . وفجأة انبثق النور . .

في السابعة من مساء يوم الثلاثاء الماضي . لمحت صالح رفيق الطفولة يلج دارنا ويده في يد والدي (انه قريب من بعيد ، فوالده ابن عم لوالدي) يشبهك في كثير من صفاتك يقول ما تقول . . وسألني والدي عن رأيي فيه فلم أقل شيئا . .

: لقد تقدم لطلب يدك .

: وزوجته . . ؟

: رحلت الى العالم الآخر خلفه طفلة . .

: وأنت . . ؟

وتم عقد قراني في هدوء . لم يعلم بذلك أحد وعليه ها أنا راحلة مع زوجي . . لقد أحببتك . . وانتظرتك ولكن كان خيرا عندما لم تستطع العثور على الطريق .

* * *

. . النهاية . .

في اللحظات التي بدأ يستعيد فيها ما جاء في الرسالة وهو يجلس وحيدا في عربته أمام باب الدار . أقبل أحد الأصدقاء ففتح له العربة . وأعاد تطبيق الأوراق كما كانت .

: الى أين . .

: الى المقهى . .

: ما رأيك في ان نذهب الى السينما . .

ولم يعارض . أدخل الأوراق في جيبيه بهدوء وعدم مبالاة ثم أدار محرك العربة . .



الورود والأزهار والرياحين

في أشعار الجاهليين

ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhr.it.com>

د. سهام
الفريح



الدوافع لهذا البحث :

ان الفكرة التي دعيتي الى الكتابة في هذا الموضوع ، هي أن الذين كتبوا عن
الشعر في العصر الجاهلي عالجوا التجربة الشعرية للشعراء في ضوء البيئة الصحراوية ،

وما كان يشاهد فيها الشاعر من حيوانات وجبال ووديان ونبات ، وأمثال ذلك من مشاهد القسوة في الطبيعة الصحراوية ، أما الناحية الأخرى ، وهي المشاهد الجمالية ، وعلى الأخص ما تنبته الامطار وممرات المياه في بعض السهول والمنحدرات والوديان ، مما غاب عن أذهان الكتاب أو المؤرخين للدب والنقاد باعتبار ان المنطقة صحراوية وأن للبيئة أثرها الكبير على الشاعر ، وربما لان الصحراء لا ينبت فيها الأقاحي والزهور الشيء الكثير الذي يسترعي انتباه الشعراء .

فبعد ان لفت نظري عند قراءتي للشعر الجاهلي ان هذه المناظر الطبيعية الجميلة التي لم تغب عن عيون الشعراء الجاهليين وانما سحرتهم الى حد كبير بحيث وصفوها وصفا دقيقا وتحليلا رقيقا لا يقل تفصيلا عن مظاهر الحيوانات والنجوم والجمال وأمثال ذلك مما يوجد في طبيعة الصحراء الأمر الذي يدل على ان الشاعر الجاهلي هو هو الشاعر بعد ظهور الاسلام من ناحية رقة مشاعره ودقة نظره ، وتأثره بالرقيق من مناظر الطبيعة بعد اتصال العرب بالأمم الأخرى وعيشهم بالمدن ومشاهدته لهذه المناظر الطبيعية في الحدائق والبساتين وغير ذلك ، ولم يبق من فرق بين الشعارين في عهدين متتاليين سوى فارق الزمن والتطور الذي يفرضه عليهما بالاضافة الى المكان الذي يعيش فيه كل واحد منهما .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولأن الحديث في هذا البحث عن الورود والأزهار فمن المفيد أن نتعرف أولا على ما تعنيه هذه الألفاظ في العربية قبل ان نسترسل في رصدها وأمثالها من اسماء الزهور في اشعار الجاهليين .

ما قاله اللغويون في الورد والأزهار :

أ - الورد : ورد كل شجرة نورها ، وقال ابو حنيفة الورد : نور كل شجرة وزهر كل نبتة واحده وردة ، وقال : الورد ببلاد العرب كثير ، ريفية وبرية وجبلية وورْد الشجر : نور ؛ وورْدت الشجرة اذا خرج نورها (وقال) الجوشري : الورد بالفتح الذي يشم ، الواحدة وردة ، وبلونه قيل للأسد ورد ، وللفرس ورد ،

وهو بين الكميت والأشقر . (وقال) ابن سيده : الورد لون احمر يضرب الى صفرة حسنة فيها كل شيء ، فرس ورد ، والجمع ورد ، ووراد ، والانثى وردة . (مراجعة لسان العرب مادة : ورد) ، وفي قوله تعالى : ﴿ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ (الآية ٣٧ م الرحمن ٥٥) أي صارت بلون الورد .

ب - الزهر : الزهر نور كل نبات ، والجمع زهر . وخص بعضهم به الأبيض . وزهر النبات : نوره ، وكذلك الزهرة بالتحريك . (وقال) ابن الاعرابي : النور الأبيض ، والزهر الأصفر ، وذلك لأنه يَبْيَضُّ ثم يَصْفَرُّ ، والجمع أزهار . وأزاهير جمع الجمع . (وقال) أبو حنيفة : أزهر النبات بالالف اذا نور وظهر زهره ، وزهر بغير الف اذا حسن ، والأزهار : ازهار النبات أي طلوع زهره و (زهرة الحياة الدنيا) أي حسنها وبهجتها وكثرة خيرها - كما جاء في التنزيل العزيز . . (الآية ١٣١ م طه) . وجاء بنفس المعنى في الحديث الشريف (مراجعة اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٢٢٢ ، ٢٢٣) . والزهرة : الحسن والبياض ، والزاهر والأزهر : الابيض الحسن من الرجال ، وقيل هو : الأبيض فيه حمرة ، والمرأة : زهراء . وقيل اليوم الأزهر وقصد به يوم الجمعة ، وذلك كما جاء في الحديث الشريف (اكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر) (مراجعة لسان العرب - مادة زهر) .

ج - الريحان : كل بقل طيب الرائحة . واحدته ريحانة . والجمع ريابين ، وقيل الريحان : أطراف كل بقلة طيبة الريح اذا خرج عليها أوائل النور . وقيل : قد تروحت البقول فهي متروحة . (انظر لسان العرب - مادة روح) . والريحان : تأتي بمعنى الرزق على التشبيه بما تقدم ، وقد جاء في قوله تعالى ﴿ فروح وريحان ﴾ (٨٩ ك الواقعة ٥٦) فروح : معناها استراحة وبرد ، وريحان : الرزق . وقيل ان في قوله تعالى « ريحان » هنا تحية لأهل الجنة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ والحب ذو العصف والريحان ﴾ (١٢ م الرحمن ٥٥) .

الحب هنا القمح والشعير . والعصف : ورق النبات اليابس ، كالتين ،
والريحان : أي المشموم أو الرزق .

موقف الباحثين من الشعراء في هذا الموضوع :

وان تعرضنا في هذا البحث لموقف الدارسين المحدثين من وصف الشعراء
الجاهليين للطبيعة الصحراوية ومدى تأثرهم بها . فان هذا لا يجعلنا نغفل تنبه بعضهم
ولو بأشاراتهم العابرة ، الى ما لفت نظر الشعراء الذين اتصلوا بالبيئات المتحضرة
كالنابغة الذبياني في الحيرة والأعشى كذلك .

ومنها ما ذكره الدكتور شوقي ضيف بعد استشهاده بيت النابغة :

رقاق النعال طيب حُجْراتهم يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِ
(الديوان / ١٢)

قوله : (وقد نفذ اثناء ذلك الى معان حضارية جديدة ، اذ صور دينهم وترفعهم ، وما
هم فيه من نعيم ، وهو في ذلك يختلف عن شعراء البادية أمثال زهير في مديحه)
(العصر الجاهلي / ٢٨٥)

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

ثم تمثل بعد ذلك بهذه الابيات :

سقى الغيث قبراً بين بُصْرَى وجاسم بغيث من الوسمى قطرٌ ووابل^(١)
ولا زال رِيحَانٌ ومِسْكٌ وعَنْبِرٌ على متنهاه ديمة ثم هاطل^(٢)
وينبت حوذانا وَعَوْفاً منوَّرا سأبعه من خير ما قال قائل^(٣)

وقال :

(وحقا كان الشعراء حوله ومن قبله يستسقون السحاب لقبور من يفقدونهم ، ولكنه
مد أطناب الصورة بذوقه الحضري وأضاف اليها الريحان والمسك والعنبر ، ودعا
للأرض أن تنبت من حول النعمان^(٤) الازهار والرياح ، وهي صورة حضارية) .
(العصر الجاهلي / ٢٩٣) .

أما إشارة الدكتور شوقي ضيف لشعر الأعشى فلم تكن إشارة مباشرة في موضوع الأزهار ، وإنما جاءت خلال حديثه عن الخمرة عند الاعشى ، وهي قوله (وما يني التحدث في مجالسها ، وما ينثر فيها من ورود وما يكون فيها من قيان وآلات طرب . بنفس الصورة التي تلقانا عند أصحاب الخمر والمجون في العصر العباسي . . وكأنه فارسي أبا وأما ممن أتقنوا الشعر العربي في العصر العباسي وأتقنوا فن الخمرية بنوع خاص ، وهل تفترق قصيدته رقم ٥٥ من قصائد أبي نواس وأضرابه في شيء ؟ . انها تكتظ بأسماء الرياحين والأزهار وآلات الطرب الفارسية (العصر الجاهلي / ٣٦٠) .

وهناك إشارة أخرى جاءت في حديث الدكتور الجوزوي يقول فيها :

(ومن الغريب ان الاعشى لم يصف الزهور في معرض وصفه للروض ، بل في أثناء وصفه لاسنان الحبيبة ، فيرى الاقحوان لبياضها ، أو وصفه لبشرتها المصفرة من أثر الطيب ، والتي شبهها بزهر العرارة الأصفر :

بيضاء ضحوتها وصفه ————— راء العشية كالعرارة
(صناعية العرب / ١٥٦) .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لا غرابة في ذلك فان وصف الزهور في معرض وصف المحبوبة والتغزل بها لم تكن الميزة التي اختص بها الاعشى دون غيره من شعراء العصر ، بل نجدها عند غالبية الشعراء الذين وصفوا الأزهار ، وبالأخص عند وصفهم لزهر الأقاحي ، اذ لم نجد عند استقراءنا لشعر الجاهليين الا شاعرا واحدا وصف زهر الأقاحي وصفا خالصا ، خلال وصف الرياض . وهو ابن مقبل في قوله :

(الديوان / ٢٨٤)

ربية حر دافعت في حقوفه رخاخ الثرى والأقحوان المديما

أما أنواع الأزهار الاخرى التي جاءت في شعر الاعشى ، فقد قال الدكتور الجوزو (أما سائر الأزهار فذكرها عند وصف مجالس الخمرة وأكثرها غير عربي ، بل

فارسي معرب ، مما قد يوحي بان الفرس كانوا أكثر من العرب عناية بالأزهار ، وهذا أمر طبيعي سببه تفاوت حضارتيهما في ذلك الزمان) (صناجة العرب / ١٥٦) .

ولعل الفرس كانوا أكثر عناية بالأزهار من العرب ليس لتفاوت حضارتيهما ، وإنما لاختلاف بيئتيهما ، فبيئة العرب صحراوية ومعظم أراضيهم قاحلة لا تنبت الزرع حتى العشب ، في حين بلاد فارس حباها الخالق بالخصرة والخصوبة في معظم أراضيها .

وفي نهاية هذا الاستعراض لاشارات الدارسين المحدثين ، نقف عند ما تناوله الدكتور نوري القيسي حول موضوع الازهار في كتابه (الطبيعة في الشعر الجاهلي) وان جاء تعرضه لهذا الموضوع مختصرا وسريعا ، الا انه كان أكثر وضوحا من الاشارات السابقة . ولعل ما اضطره الى الاختصار ضخامة العمل ودقته في هذا الكتاب الذي ألم باستقصائه بجميع جوانب هذا الموضوع .

أما حديثه عن الازهار فهو قوله (أما الازهار فهي أقل ذكرا في الشعر من الشجر ، لقلتها في أرض الجزيرة ، وقصر موسمها الذي تعيش فيه بسبب العوارض الطبيعية القاسية التي تمر بها) ، ولا خلاف في ذلك حتى قوله : (ولهذا كانت صورها غير واضحة في أذهان الشعراء ، كما أن طبيعة الحياة لم تترك لهم الوقت الكافي حتى يتفرغوا لاستقصاء وصفها ، اضافة الى كونها غير متعلقة بحياتهم المعاشية) (الطبيعة في الشعر الجاهلي / ٨٩) .

ونحن لا يمكننا الاخذ برأي الدكتور القيسي في هذا الجانب ، وذلك لما توافر لنا من الشواهد الشعرية الكثيرة في وصف الورود والأزهار ، بالاضافة الى الشواهد الجمّة التي تنقل تأثر الشاعر الجاهلي بالظواهر الطبيعية الأخرى غير المتصلة بحياته وسبل معاشه . فقد أطل الشاعر الجاهلي في وصفها وتحليلها ، ولعل الدكتور القيسي نفسه قد فصل البحث حولها في هذا الكتاب ، فمنها ما جاء في وصف الجبال والوديان والشعاب ، ومنها ما جاء في وصف الحيوان - غير الناقة والفرس - وكذلك الطيور والزواحف والحشرات . ومن ابرز الشواهد قصيدة لبيد في وصفه للبقرة الوحشية

ووليدها ومعاناتها في تلك البيئة ، فان قال قائل ان الشاعر في وصفه للبقرة ما هو الا رمز لمعاناة الانسان في تلك البيئة فان هناك الكثير من الشواهد الشعرية العديدة التي تصف الطبيعة باستغراق وتحليل ولعل أقربها للاستشهاد هو ما جاء في قصيدة لبيد نفسها ووصفه للحمر الوحشية واستغراقه في هذا الوصف ، وفي وصف جميع مظاهر الطبيعة .

وان كان الدكتور القيسي يرى في صعوبة الحياة وقسوتها على الانسان في الصحراء ما يصرفه عن الانتباه الى الورود والأزهار وعدم وضوح صورتها في ذهنه ، فان الدكتور الجوزو في حديثه عن الاعشى يراها ذات صلة وثيقة بحياة الانسان اليومية ، وذلك في قوله : (ان يعيش الاعشى في اليمامة الكثيرة الزروع وان تجول به ركابه خلال انحاء الجزيرة الأربع ، على زعم الرواة ، امر يتيح له أن يرى كثيرا من الرياض والانهار وينبغي أن يحمله على تلوين شعره بالاشجار والنباتات والأزهار ، مع ان هذه جميعا تتصل اتصالا وثيقا بحياة الانسان اليومية) .

(صناعية العرب / ١٥٠) .

وقد تكون هذه المشاهد الطبيعية في بيئة الانسان الجاهلي محطات يضع ركابه أمامها لتبهج ناظره مشاهدتها المباشرة وتريح ذهنه عند وصفها وتصورها في شعره .

وبالإضافة الى هذه الدراسات التي مر ذكرها فان هناك العديد منها التي تعني بموضوع الطبيعة في الشعر الجاهلي الا انها اهملت ذكر الازهار في الشعر الجاهلي ولم تمر به حتى المرور العابر الذي صادفناه فيما سبق منها . ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب (شعر الطبيعة في الادب العربي) لسيد نوفل الذي وضع الباب الاول من هذا الكتاب لدراسة الطبيعة في الشعر الجاهلي . وقد تعرض في هذا الباب لمجموعة من أبرز الشعراء الجاهليين واستشهد ببعض اشعارهم في وصف الطبيعة باشجارها ونباتها ووديانها وانهارها وحيوانها الا انه لم يقف عند الازهار في معرض حديثه عن النبات الا ما جاء عرضا - وكان مثالا واحدا فقط - خلال حديثه عن الطبيعة في شعر الاعشى ،

فأورد له أربعة أبيات جاء ذكر زهر الزنبق في بيت واحد فقط ، وقد أورد هذه الابيات بعد قوله :-

(وبعد أن يفرض في الوصف مزاجا بين معاني الحضر ومعاني البادية يقول :-

إذا تقوم يضوع المسك صورة والزنبق الورد من أردانها شمل
ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

فيمر بوصف الروضة هذا المرور العابر ، ويدل على مدى فنتته بالطبيعة واحساسه بزيتها ، وان سخر هذا الوصف لأداء حق الغزل ، كما سخره في مواضع اخرى لأداء حق المدح) (شعر الطبيعة في الادب العربي / ٨٣) .

فهو في هذا البيت اليتيم الذي جاء فيه ذكر الزهر - في باب الطبيعة في الشعر الجاهلي - لم يأت به للاستشهاد على ذكر الازهار كجنس من أجناس النبات في البيئة الصحراوية وانما اتي به في معرض حديثه عن الاعشى ومواجهته بين المعاني البدوية والمعاني الحضرية .

أما الحوفي فقد تعرض في كتابه (أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي) للنبات والاشجار عامة وكان تعرضه للازهار في الشعر الجاهلي عابرا وسريعا اذ انه ناقش خلال هذا الموضوع الفكرة السائدة عند الكثير من الباحثين وهي أن أرض الجزيرة العربية ارض مجدبة قاحلة وزروعها نادرة . فأراد ازالة هذا الاعتقاد بتسمية المناطق والاراضي التي كانت كثيرة الزرع والمراعي والمياه في الجاهلية . ثم قام بعد ذلك برصد الابيات التي نظمها الشعراء الجاهليون وذكروا فيها النبات والاشجار والازهار منها . الا انه لم يتمثل الا بيتين من الشعر جاء فيها ذكر الازهار - وقد جاء ذكرهما في هذا البحث - أحدهما للأعشى ذكر فيه الزنبق وهو قوله :-

إذا تقوم يضوع المسك صورة والزنبق الورد من اردانها شمل

والآخر لامرئ القيس ذكر فيه القرنفل وهو قوله :-

إذا قامتا يضوع المسك منهما نسيم جاءت برياً القرنفل

(انظر أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي / ٦٣ - ٧٨) .

ولا يفوتني في هذا الموضع من التعرض لكتاب الدكتور علي الجندي (الشدى المؤنس في الورد والرجس) الذي تحدث فيه عن مختلف الورد والأزهار والرياحين ، ووصف كل نوع من أنواعها ، وقد نقل أثناء ذلك أقوال قدماء الفرس واليونانيين فيها ، وقد أثبت في كتابه هذا العديد من الشواهد الشعرية التي تصف الأزهار والورد بأنواعها المختلفة ثم اتبع هذا المفارقات التي وضعها بعض الكتاب والشعراء المتأخرين وضمن ذلك تفضيلهم بعضها على البعض الآخر .

لكن الكاتب وهو في هذا الرصد الهائل للنماذج الشعرية والثرية المختلفة قد أهمل العصر الجاهلي ، ولم يستشهد ببيت من ديوان أشعارهم ذكروا فيه الورد والأزهار أو وصفوها . فهو باهمال للجاهليين في هذا الموضوع ، كأنه أعلن ضمناً خلوا معجمهم اللغوي من ألفاظ الورد والأزهار والرياحين أو التذمر على بيتهم ان تنبت أجناسها .

٤ - أنواع الورد والأزهار والرياحين التي نظم فيها الشعراء :

وبعد هذا العرض للدراسات التي تحدثت بصورة موجزة وغير مباشرة عن الورد والأزهار والرياحين والتي اتفقت على قلتها في الجزيرة العربية لقسوة بيئتها وندرة مياهها ، في مواقع كثيرة منها . وقد نلمح أيضاً بعض التقارب في الرأي في ان السبب في قلة ذكرها في الشعر يعود أيضاً لعدم تأثر الشعراء بها وغموض صورتها في أذهانهم . بعد هذا كان لابد لنا من ابداء الرأي فيما قرأنا لهم من أقوال اذ قد نخالفهم في بعضها ، وما يؤيدنا في ذلك الشواهد الكثيرة التي تهبأت لنا بعد قراءتنا لأكثر ما تمكنا من شعر ذلك العصر ، ومن خلال هذه الشواهد الشعرية نعرف على ما كان موجودا من الورد والأزهار والرياحين باسمائها وعلى اختلاف أنواعها . وأكثر هذه الانواع شيوعاً هو :

أولا - الأقحوان :

هو القراص عند العرب ، وهو البانونج ، وهو البابونك عند الفرس من نبات الربيع مفروض الورق دقيق العيدان له نور أبيض واحدته أقحوانه ، ويجمع على أقاح قال الجوهري : وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ، ووسطه أصفر (لسان العرب - مادة قحا) .

وقد جاء ذكر الأقحوان في شعر امرئ القيس^(٥) وهو في قوله :

١ - بنثر كمثل الأقحوان مُنَوَّرَ نَقَى الثَّيَابِ أَشْنَبِ غير أثعل
(ديوان امرئ القيس / ٣٦٩) .

فهو من قصيدة يتغزل فيها بمحبوبته ، مشبها ثغرها بزهر الاقحوان المنور . وقد ذكره النابغة الذبياني^(٦) في قوله : (الديوان / ٤٠)

٢ - تملو بقادمي حماة أيكَة بَرْدَ أَسْفَ لِثَاتِهِ بِالْأَثْمَدِ
كَالْأَقْحَوَانِ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي
شبه أسنان الحبيبة بالأقحوان النقي الذي أصابه المطر فذهب عنه الغبار فزاده نقاوة وبياضا .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وقد جاء ذكر الاقحوان في شعر الاعشى^(٧) (ميمون بن قيس) في أربعة أبيات هي قوله :

(الديوان / ٧٧)

٣ - وتضحك من غرّ الثنايا كأنه ذُرَى أَقْحَوَانٍ نَبْتُهُ مُتَنَاعِمٌ
وفي هذه البيت أيضا جاء ذكر الأقحوان ليشبه به أسنان محبوبته فهي عندما تضحك تفر عن أسنان كأنها الاقحوان الريان .

وقال الاعشى أيضا :

(الديوان / ١٥٣)

٤- كَذُرَى مُنَوَّرَ أَقْحُوا نِ قَدْ تَسَامَقَ فِي قَرَارِهِ

فهو يشبه اسنان المحبوبة بأوراق زهر الأقحوان البيضاء التي صفى لونها ،
وارتفع ساقها ، بعد ان نبتت في منخفض استقر فيه الماء .

وقال الاعشى :-

(الديوان / ٢٠٩)

٥ - وَشَتِيتْ كَالْأَقْحَوَانِ جَلَاهُ ال_____ طَلَّ فِيهِ عُذْوَةٌ وَتَسَاقَ

وفي هذا المعنى قال الاعشى :

(الديوان / ٣٥٣)

٦ - وَتَضَحَّكَ عَنْ غَرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ ذُرَى أَقْحَوَانٍ نَبَتَهُ لَمْ يُفْلَلْ

فجاء في هذا البيت ايضا تشبيه اسنان المحبوبة وابتسامتها كأنها زهر الاقحوان
النضر الذي تعبت به الايدي فيتكسر .

وجاء ذكر الاقحوان في شعر بشر بن خازم الاسدي^(٨) يقول فيه :-

(الديوان / ٤٣) <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٧ - لِيَالِي تَسْتَبِيكَ بِذَى غُرُوبٍ يُشَبِّهُ ظَلْمَهُ خَضَلَ الْأَقْحَايِ

فاستخدم بشر الاقحوان في نفس الغرض وهو ان يشبه به ثغر المرأة قائلا بأنها
تأسرك وتأخذ بلبك بقم كأنه الأقحوان في نقاوته وصفائه .

وذكره بشر ثانية في هذا البيت ولنفس الغاية .

(الديوان / ٦٣)

٨ - يَفْلَجُنِ الشَّفَاءَ عَنْ أَقْحَوَانٍ جَلَاهُ غَبَّ سَارِيَةٍ قِطَارُ

أما ما جاء من ذكر الاقحوي في شعر عدي بن زيد العبادي^(٩) فهو قوله :

(الديوان / ٤٢)

٩- وشَنِيبُ كالْأَقْحاحِي شَابَهُ نُضْحُ مَاءِ الْمَزْنِ مِنْ غَيْرِ صَرَدٍ

شبه اسنان من تغزل بها بالاقحوان الذي خالطه رشاش الماء من المزن الصافية التي لم يخالطها شيء .

وقال أيضا :-

(الديوان / ٧٧)

١٠- وَثَنَايَا كَالْأَقْحَوَانِ عِذَابُ لَا قِصَارُ كُتْسَرُ وَلَا هُنْ رَوْقُ

وصف أسنان المرأة المتغزل بها بانها لا هي قصار ولا هن روق : أي طول الاسنان العليا على السفلى ، ثم شبهها بزهر الاقحوان المتناسق .

وقال أيضا :-

(الديوان / ذيل الديوان ١٢٩) (اغاني ٢ / ١٢٧)

١١- إِذْ هِيَ تَسْبِي النَّاطِرِينَ وَتَجِدُ لَوْا وَاضِحاً كَالْأَقْحَوَانِ رَتْلُ عَذْبَا كَمَا ذُقْتُ الْجَنَى مِنَ التَّفَّاحِ مَسْقِيَا بِبَرْدِ الطَّلِّ

أما ما قاله طرفة بن العبد^(١٠) في الاقحوان فهو :-

(الديوان / ٥١)

١٢- بِادَنْ تَجْلُو إِذَا مَا ابْتَسَمْتَ عَنْ شَتِيَتْ كَأَقْحَاحِ الرَّمْلِ غُرَّ

لم يخرج الشاعر في استخدامه للفظه الاقحوان في هذا البيت عن استخدام غيره من شعراء العصر وهو تشبيه ثغر المرأة بهذا الزهر .

وقول ابن مقبل^(١١) في الأقحوان هو :-

(الديوان / ٢٨٤)

١٣- رَبِيبَةٌ حَرٍّ دَافَعَتْ فِي حَقُوفِهِ رَخَاخَ الثَّرَى وَالْأَقْحَوَانِ الْمُدَيِّمَا

وهو هنا لم يذكر الأقحوان ليشبه به وانما تحدث عن المرأة التي طرقت خياله

وشبهها بالبقرة الوحشية التي نشأت في هذه البقعة من الأرض - التي وصفها - بانها
تغمرها الرمال ولا طين فيها وقد اصابته هذه الرمال ديمة ساكنة أنبتت فيها هذا الزهر
(وهو زهر الأقحوان) .

وجاء ذكر الاقحوان عند الشماخ^(١٢) في بيتين من الشعر الأول :

(الديوان / ٦)

١٤ - تميح بمسواك الأراك بنائها رُضابَ الندى عن أقحوان مُفلّج

والثاني :-

(الديوان / ٣٨)

١٥ - لها أقحوان قيدته بإئمد يد ذات اصداغ يُمار نورها

في البيت الاول اراد الشماخ ان يشبه به أسنان المرأة ، أما في البيت الثاني فقد
وصف ثغر المرأة التي تغزل بها وقال كأنه زهر الاقحوان الناصع الذي قيدته بالأئمد يد
تزين بالاسوار والوشم .

وفي ديوان الهذليين لم يذكر الورد فيه الا شاعران وهما ساعدة بن جؤية
الهذلي^(١٣) ، والمتنخل الهذلي^(١٤) ، وكانا في البيتين قد شبها ثغر المرأة بزهر
الاقحوان ، أما ما قاله ساعدة فهو :

(الديوان القسم الاول / ١٧٥)

١٦ - وَمَنْصَبٌ كَالْأَقْحَوَانِ مُنْطَق بِالظَّلْمِ مَصْلُوتِ الْعَوَارِضِ شَنْب

وبيت المتنخل هو :-

(الديوان القسم الثاني / ٥)

١٧ - غُرَّ الثَنَايَا كَالْأَقْحَاوِي إِذَا نَوَّرَ صُبْحُ الْمَطَرِ الْمُتَجَلِي

كأن اسنان هذه المرأة زهر الأقحوان الذي جلاه المطر . فأزال ما عليه من
تراب .

وكعب بن زهير^(١٥) شبه ثغر المرأة بالاقاحي قائلا :

(الديوان / ٩١)

١٨ - وتفتّر عن غُرّ الثنايا كأنها أقاح تَرَوِي من عروق غلائل
فأراد ان يشبه هذا الثغر بأقاح تغلغلت عروقه في الثرى تسقيه فيكون مشرقا ،
ويكون ذلك أصفى للونه وأطيب لرائحته .

أما قول ابي قردودة الطائي^(١٦) في الاقحوان هو :

(قصائد جاهلية نادرة / ١٦٩)

١٩ - وعذب المذاقة كالأقحوان جاد عليه الربيع البراقا
وهنا أيضا يشبه ثغر المحبوبة بالاقحوان الذي جاد عليه الربيع والبراقا ، قد
يكون قصد به الربيع الممطر المصحوب بالبرق . أو أراد ان يشبه ثناياها بالبرق لبياضها
ولمعانها .

وقد ذكر مالك بن حريم الهمداني^(١٧) الأقحوان في شعره قائلا :

(الموسوعة ٤ / ٢١٣) <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٢٠ - كأن جَنّا الكافور والمسك ، خالصاً وبرد الندى ، والأقحوان المنزعا
في هذا البيت يشبه الشاعر ثغر محبوبته بالكافور والمسك الخالص ، واسنانها ببرد
الندى والاقحوان المنزوع .

وقد ذكر الاقحوان ابن الرواح الاسدي (مرة كعب)^(١٨) :

(الموسوعة ٤ / ٤٢٤)

٢١ - واذا تبسم قلت : شوك سيالة أو أقحوان صريمة معهود
يشبه ثنايا من تغزل بها بشوك السيالة وهو نبات له شوك أبيض يقطر منه مثل
اللبن ، أو أن ثناياها تشبه زهر الأقحوان .

• وقال طرفة يصف ثغر صاحبه :

(الديوان / ١٦٩)

٢٢- تضحك عن مثل الأفاحي حوى من ديمة سكب سماء دلو^(٢٩)

ثانياً - الخزامى :

نبت طيب الرائحة ، واحدته خزاماة ، وقال أبو حنيفة : الخزامى عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج ، قال : ولم نجد من الزهرة زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى . وقد ذكر امرؤ القيس هذا النوع من الزهور في شعره كثيرا منه قوله :

(الديوان / ٢٨)

١ - وتحسب سلمى لا تزال كمهدنا بوادي الخزامى أو على رَسّ أوعال^(٣٠)

في هذا البيت لم يشبه عطر المرأة وريحها بريح الخزامى كما كان يفعل الشعراء في تشبيه أسنان المرأة الجميلة بزهر الأقحوان وإنما تذكر أيام لقاءهم بوادي الخزامى وهو كثير ما يرد ذكر الأودية في الشعر ويأتي كهذا البيت مقترنا بذكرى الأحبة .

وقد جاء ذكر الخزامى بمعناها اللغوي بيت لامرئ القيس ورد في اللسان عند مادة خزم وهو قوله :

٢ - كأن المدام وصبوب الغمام وريح الخزامى ونثر القُطُر

يقول ان فيها ذكي ، طيب الريح - حتى عندما تلقاها في الصباح الباكر دون ان يفسد نفسها ، بل ان قد تفوز على طعم الخمرة والمطر الرقيق ، وعلى طيب الخزامى والعود .

وقد ورد الخزامى في شعر عدي بن زيد العبادي في قوله :

٣ - وعلى الأحداج ألوان القنا وخزامى الروض يعلوه الزهر^(٣١)

أما ما جاء في شعر بشر بن أبي خازم الأسدي في الخزامى فهو قوله :
(الديوان / ٨)

٤ - خذول من البيض الخدود دتالها أراك بروضات الخزامى وحلب^(٢٢)

وعبيد بن الأبرص^(٢٣) أورد الخزامى في شعره وذلك كقوله :
(الديوان / ٤٩)

٥ - وريح خزامى في مذانب روضة جلاً دمنها سارٍ من المزن هطال

في هذا البيت وفي بيتين سابقين له يقول فيهما :-

وملن البنا بالسوالف والحلى وبالقول فيما يشتهي المرح الخالي

كأن الصبا جاءت بريح لطيمة من المسك لاتطاع بالثمن الغالي^(٢٤)

شبه حديث النسوة بزيتتهن ومرجهن بريح الصبا الندية العطرة التي كأنها هبت وهي محملة بالمسك ، أو كأنها ريح زهر الخزامى الذي نبت على مجاري الماء في روضة جلته مزنة ليلية زادت من نورها ومن نشرها الزكي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrif.com

وقول ابن مقبل في الخزامى هو :-

(الديوان / ١٩)

٦ - كأن خزامى عالج طرقت بها شمال رسيس المس بل هي أطيب^(٢٥)

ان ابن مقبل يصف محاسن المرأة في بعض أبيات من هذه القصيدة ويتحدث عن تعطرها بالمسك الذي خالط جسدها مع العنبر الورد في قوله :-

أنأة كان المسك دون شعارها يُيكله بالعنبر الورد مُقطب^(٢٦)

فكأن طيب نشر هذه المرأة ريح خزامى عالج اصابتها ريح الشمال اللينة الندية ، فاذكت ريحها ، وزادت من نشره في ذلك الموقع .

وقوله أيضا :

(الديوان / ٢٨٩)

٧- وقوف به تحت أظلاله كهول الخُزّامي وقوف الظعن^(٢٧)

لم يستخدم الشاعر الخُزّامي في هذا البيت ليشبه به عطر المرأة وطيب نشرها ،
وانما استخدمه وقد اكتهل ليشبه به هودج النساء وهي راحلة ، وقد يكون في ساعة
وداع لها ، فقال كهول الخُزّامي ، فهي صورة اخرى ليست كالصورة التقليدية بوصف
الزهر والتشبيه به لطيب نشره ومدى نضارته ونوره .

وقال أيضا :-

(ذيل الديوان / ٦)

٨- خُزّامي وسعدان كأن رياضها مُهدنٌ بذى البريطياء المُهذب^(٢٨)

حديث الشاعر عن الخُزّامي في هذا البيت جاء خالصا لوصف الرياض ووصف
هذا الزهر ، ولم يتخذ من شكل هذا الزهر صورة للتشبيه بها - كما صادفنا في الابيات
السابقة - وانما اتخذ من شكل الثياب الموشاة الجميلة صورة لوصف هذه الروضة الغناء
المغطاة بزهر الخُزّامي والسعدان ، فتخيلها وكأنها لفت بالثياب الموشاة الزاهية .

أما الخطيئة^(٢٩) فقد ذكر الخُزّامي في هذا البيت قائلا :

<http://ArchiveBeta.Sakhrit.com>

(الديوان / ١٤٧)

٩- تضوع رِيّاها اذا جئت طارقاً كريح الخُزّامي في نبات الخَلَى النّدي^(٣٠)

فهو قد ذكر الخُزّامي هنا لغاية التشبيه بعطره . فقد شبه ريح المرأة التي تغزل بها
والتي اذا جاءها طارقا بريح الخُزّامي الندي .

وذكر النابغة الجعدي^(٣١) الخُزّامي في قوله :

(الديوان / ٤٤)

١٠- كسا جَذْبُ رجليها صفيحة وجهه ورَوّقه ربْعِي الخُزّامي المنوّرا^(٣٢)

وقال أيضا :

(الديوان / ٦٣)

١١ - كسا دفع رجليها صفيحة وجهه اذا انجردت نبت الخزامى المنورا

فالشاعر يريد أنها - أي البقرة التي فقدت ولدها فطافت تطلبه ثلاث ليال وأيامها التي ذكرها في أبيات تالية - تثير برجليها ريح الخزامى النابت في رمال عالج التي ذكرها في بيت سابق هو :-

أتيح لها فرد خلا بين عالج وبين حبال الرمل في الصيف أشهرها

وقال حنظلة بن الشرقي^(٣٣) ذاكر الخزامى في شعره :

(قصائد جاهلية / ٢١٣)

١٢ - لكالنابء الفرد الأرج ظلوفه قوانيء حمر من خزامى وخمائل

فهو في هذه القصيدة يشبه نفسه بالثور التائه في الأرض في تنقله من بلد الى بلد ، فقد انفرشت اظلاف هذا الثور من كثرة السير والاسفار وغدت حمراء قانية من كثرة ما وطىء على الخزامى والخمائل .

ولربيعه بن مقروم بن قيس^(٣٤) بيت يذكر فيه الخزامى وهو قوله :-

(الاغاني ٩١١/٢٢)

١٣ - شماء واضحة العوارض طفلة كالبدر من خلل السحاب المنجلي

وكأنما ريح القرنفل نشرها وحنوة خلطت خزامى حومل^(٣٥)

شبه الشاعر نشر من تغزل بها بريح القرنفل الزكية ، وقال أيضا في الشطر الثاني . وكأنه زهر الحنوة العطر الذي خلط بزهر خزامى حومل .

ولامرئ القيس بن عمرو بن الحارث السكوني^(٣٦) :

(قصائد جاهلية نادرة / ١٥٠)

١٤ - وما روضة وسمية حموية بها مونقات من خزامى وحلب^(٣٧)

فهو يقول ان رائحة ليلي - وهي من تغزل بها - ونكهتها أطيب من روضة وسمية فيها ضروب الزهر ، سقتها السماء بالديم والوبل .

ثالثا - الرياحين :

وقد ورد هذا النوع من النبات كثيرا في اشعار الجاهليين ، ومنهم النابغة الذبياني في قوله :-

(الديوان / ١٢)

١ - رفاق النعال طيب حُجَراتهم يُحيون بالريحان يوم السباب^(٣٨)

المراد من ذكر الريحان في هذا البيت هو وصف الترف والنعيم اللذين ينعم بهما الغساسنة - وهم من مدحهم الشاعر في هذا البيت - وقد اتصل بهم بعد ان هرب من النعمان بن المنذر حين غضب عليه - وطيب حجاتهم كناية عن شرفهم وعفتهم . فهو ذكر الريحان دون ان يشبه به شيئا ودون ان يصفه بشيء .

وذكر النابغة الريحان في بيت آخر من قصيدة رثا فيها النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني ، وذلك في قوله :

(الموسوعة الأدبية مجلد ٢ / ٢٨١ ، ديوان / ٩٠)

٢ - ولا زال ريحانٌ ومسكٌ وعنبرٌ على متهاه ديمة ثم هاطل

فهو يمتنى ان يبقى الريحان والمسك والعنبر حول قبره وان لا ينقطع عنه انقطاع المطر وحتى تنبت أنواع أخرى من النباتات الطيبة الريح ، وذلك في قوله :

وينبت حوذانا وعوفا منورا سأتبعه من خير ما قال قائل^(٣٩)

وذكر علقمة الفحل^(٤٠) الريحان في شعره قائلا :

(الديوان / ٧١ - ٧٢)

٣ - أبيض ابرزه للضح راقبه مُقلَّد قضت الريحان مفغوم^(٤١)

وذكر أوس بن حجر^(٤٢) الريحان في شعره الذي يذكره بصدى المرأة التي تغزل بها وهو قوله :

(الديوان / ١٠٥)

٤ - لازال مسك وريحان له أرج على صدك بصافي اللون سلسال (٤٣)

هذا البيت قاله من قصيدة في رثاء فضالة بن كلدة ، فهو يدعو له بأن يظل المسك والريحان يضمخان جسده بلونها الصافي الرقيق .

ويغلب هنا في القصيدة ذكر الريحان في الرثاء وقد يذكره الشعراء وهو مصحوبا بالغيث المسيل ليمتلئ بعطرها ونشرها قبر المرثى . كقول أوس بن حجر :-

٥ - ولازال ريحان وفغو ناضر يجري عليك بمسيل هطال

(ديوان / ١٠٨)

يدلنا هذا البيت وما سبقه على ان العرب سبقوا الغرب في الاهتمام بالورود والازهار والرياحين وتقديم أكاليلها للأموات بعد دفنهم .

وقد ذكر الاعشى الريحان في اشعاره قائلا :-

(الديوان / ٥٩ انظر الاغاني ١٠٩/٩)

٦ - نازعتهم قضب الريحان متكئا وقهوة مزة راوقها خضل (٤٤)

يذكر الاعشى الريحان في مجالس الخمرة وكيف انه يتنازع رفاقه في هذه الجلسة الريحان وكذلك الخمرة ، وهم متكئون على الأرائك .

وأوردها ثانية في قوله :

(الديوان / ٢١٧)

٧ - له درمك في رأسه ومشارب ومسك وريحان وراح تصف (٤٥)

في هذين البيتين يذكر الريحان ليس ليصفه خالصا وانما جاء وصفه لمجالس الخمرة .

وابن مقبل ذكر الريحان في هذين البيتين - الأول :-

(الديوان / ٢٦٠)

٨ - خَوْدُ كَأَن فَرَّاشَهَا وَضَعَتْ بِهِ أَضْغَاثَ رِيحَانٍ غَدَاةَ شَمَالٍ^(٤٦)

يصف طيب نشر هذه الفتاة وهي في فراشها كأنه نثر عليه قبضة من الريحان وقد مرت به ريح الشمال الندية الرطبة فزادت من نشره وطيب رائحته .

والثاني :

(الديوان / ٢٦٩)

٩ - مُقَلَّدُ قُضْبِ الرِّيحَانِ ذُو جَدِيدٍ فِي جَوْزِهِ مِنْ نَجَارِ الْأَدَمِ تَوْسِيمٌ^(٤٧)

هذا البيت قاله من قصيدة تحدث فيها عن دهماء وهي امرأة ابن مقبل ، وكانت تحت ابيه في الجاهلية ، فخاف عليها بعد موته ، وكانت العرب تزوج نساء آبائهما ، وكان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه وقد فرق الاسلام بين رجال ونساء آبائهم ، وهم كثير ، ومنهم تميم بن أبي بن مقبل فرق وكانت تحت دهماء هذه ففرق الاسلام بينهما ، وقد ذكرها كثيرا في شعره يظهر حينه اليها بعد أن فرق الاسلام بينهما .

ARCHIVE

وذكر كعب بن زهير الريحان في شعره قائلا :-

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(الديوان / ٢٣٥)

١٠ - فَأَنْبَتَ الْفَغْوُ وَالرِّيحَانُ وَابِلَهُ وَالْأَيْهَقَانُ مَعَ الْمَكْنَانِ وَالذُّرْقَا^(٤٨)

والشاعر الشنفرى^(٤٩) وهو من الشعراء الصعاليك ذكر الرياحين في بيتين من قصيدة تنقل حقه على بني سلامان ومفاخرته عليهم ، وقد بدأها بذكر رحيل الحبيبة وأتبع قوله هذا التشبيب بها ، بوصف جمالها وحسن اخلاقها :

(موسوعة الشعر العربي المجلد الأول / ٨١)

١١ - فَبِتْنَا كَأَن الْبَيْتَ حُجَّرَ فَوْقَنَا بِرِيحَانَةٍ ، رِيحَتْ عِشَاءً وَطُلَّتْ

١٢ - بِرِيحَانَةٍ مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ نَوَّرَتْ لَهَا أَرْجُ مَاحُولَهَا غَيْرُ مُسْنَتٍ^(٥٠)

في البيت الاول قصد بريحانة المرأة ، وأراد ان يقول كيف ان الفارس العائد

ينعم في ليلة عودته بلقاء زوجته ، وفي البيت الثاني ، قصد به الريحان ذاته وكيف ان البيت يملأ نشره بريحان ندي عطر وكأنه في واد حلية الغير مجذب فهو جمع بين الريحانة الحقيقية وبين المرأة .

وقال الأسود بن يعفر النهشلي^(٥١) في الريحان :

(الموسوعة ٢٥٩/٣)

١٣ - كأن سلافة الدنّ مرفوعاً نصائبُهُ مقلّد الفغو والريحان ملثوماً^(٥٢)

يصف الخمرة في هذا البيت ، ويصف طيب رائحتها كأن الدن قد قلد بالفغو والريحان .

وقال العريان الجرمي^(٥٣) في الريحان :-

(الموسوعة ٣١٣/٤)

١٤ - فقلت له : جادت عليك سحابةٌ بنوءٍ يُندى كلّ فغو وريحان^(٥٤)

يدعو لصاحبه بان تجود عليه السماء بسحابة ممطرة تندي أرضه وتنبت فيها من الفغو والريحان ليطيب نشرها .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وذكر الشاعر النمر بن توبل^(٥٥) الريحان في شعره قائلاً :

(لسان مادة روح)

١٥ - سلام الإله وريحأنه ورحمته وسماءه دررُ

وقد اختلف الشراح في معنى الريحان هنا فقال بعضهم عنى به الريحان الزهر الطيب الرائحة ، وقال البعض الآخر : معناه الرزق والرحمة والراحة .

رابعا - القرنفل :

أو القرنفل شجر هندي ليس من نبات أرض العرب ، وهو طيب الرائحة (لسان العرب مادة : قرنفل) وهي تزرع في البلاد الحارة لرائحة أزهارها وسائر أجزائها .

وذكر امرؤ القيس في شعره فقال :

(الديوان / ١٥)

١ - اذا التفت نحوي تضوع ريحها نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل
فهو يصف محبوبته وقد تطيبت بالمسك الذي له نشر قوي كما لو كان نسيم أرض
عامرة بازهار القرنفل .

وقد ورد هذا البيت في جمهرة أشعار العرب (القسم الاول / ١٢٩)

اذا قامت تضوع المسك منها نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل

اذا قامت يريد ام الحويرث وجارتها^(٥٦) - فاح نشرهما كأنه ريح الصبا مر بزهر
القرنفل العطر .

وله بيت آخر يذكر فيه القرنفل :

(ديوان / ٣٦٩)

٢ - دعي البكر لاترثي له من رداقنا وهاتي اذيقينا جناة القرنفل

وقد ذكر سحيم بن عبد الحساس^(٥٧) القرنفل في شعره قائلاً :-
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

٣ - كأن القرنفل والزنجبيل ————— والمسك خالط جفنا قطافا

يصف الخمرة كأن طعمها القرنفل والزنجبيل والمسك قد خلط مع العنب .

وذكر قيس بن الخطيم^(٥٨) القرنفل قائلاً :-

(الديوان / ١٣٥)

٤ - كأن القرنفل والزنجبيل وذكي العبير بجلباها

وقد جاء في شعر النابغة الجعدي^(٥٩) ذكر القرنفل وذلك في قوله :-

(الديوان / ٣٢)

٥ - كأن القرنفل والزنجبيل يُعَلُّ على ريقها الأُطيب^(٦٠)

وذكر أمية بن الصلب^(٦١) القرنفل قائلا :-

(الديوان / ٥١٢ . اغاني ٤ / ١٢٣)

٦ - كأن المسك تخلطُ بفيها وريحَ قرنفلٍ والياسمينَا

وهذا بيت فيه ذكر القرنفل للشاعر علباء بن أرقم^(٦٢) يقول فيه :

٧ - وكأنا في العين حُبُّ قرنفلٍ أو سنبلٌ كحِلَّتْ به فأنهلتِ

(الموسوعة ٤ / ٨٣)

لم يرد ذكر القرنفل في هذا البيت ليصفه الشاعر منتشرا في حديقة غناء أو أن يأتي بذكره ليشبه به عطر محبوبته وطيب نشرها كما مر بنا في أبيات سابقة ، وإنما جاء بذكر حب القرنفل وكيف ان عينيه لشدة حزنه وبكائه على فراق زوجته التي تركته عاتبة عليه تبيذيره ، كأنها كحلتا بحب هذا الزهر الحراق ، فأنهلت الدموع منها بغزارة .

وقد جاء في بعض ما مر ذكره من اشعار ذكر القرنفل مقرونا بذكر الزنجبيل وذلك في بيت سحيم ، وبيت قيس بن الخطيم ، وبيت النابغة الجعدي .

خامسا - الزنبق :-

دهن الياسمين ، وخصصه الأزهري بالعراق ، وقال ان أهل العراق يقولون لدهن الياسمين دهن الزنبق (لسان العرب - مادة زنبق) . والزنبق من أصل فارسي ، وهونبات له زهر طيبة الرائحة طويل كالخربة ، ويغلب عليه اللون الأحمر .

وذكر الأعشى الزنبق في شعره قائلا :-

(الديوان / ٥٥)

١ - إذا تقوم يضوع المسك أصورة والزنبق الورد من أردانها شمل^(٦٣)

ذكر الزنبق في غزله بمحبوبته التي وصف طيب نشرها بأنها عندما تسير يمتلىء طريقها بريح المسك مختلطاً بالزنبق الذي يعطر اردانها .
وذكر الأعشى الزنبق ثانية ، وذلك في قوله : -

(اللسان - مادة زنبق)

٢ - وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه له ما انتهى راح عتيق وزنبق^(٦٤)
وامروء القيس ذكر الزنبق في شعره قائلاً : -

(الديوان / ١٦٨)

٣ - وفوق الحوايا غزلة وجاذر تضمخن من مسك ذكي وزنبق^(٦٥)
شبه النسوة في الهوادج بغزلان وجاذر متطيبات بالمسك والزنبق .
وقال أبو قردودة الطائي : -

(قصائد جاهلية نادرة / ١٦٧ - ١٦٩)

٤ - ومنسدلا كمثاني الحبال توسعه زنبقا أو خلاقا^(٦٦)
هذا البيت من قصيدة قردودة النادرة ، التي بدأها بالحديث عن زوجته التي ضاقت ذرعاً بتبذيره واسرافه وسألته الطلاق ، فلعلها تهدده لتحرضه على السعي نحو الغنى . فيصف في هذه القصيدة شعرها الوافر المسترسل كمثاني الحبال ، وقد زينته بزهر الزنبق وطيبته بالخلوق .

سادسا - أنواع أخرى من الزهور والرياحين : -

وهناك أنواع أخرى من الزهور التي لم يرد ذكرها إلا في بيت أو بيتين من الشعر ، سنثبتها في هذا الموضع ، وكذلك الأبيات التي وردت فيها لفظة (الورد أو الزهر) عامة ، ومن الأزهار (النرجس) بفتح النون وكسرهما وهو نبت من الرياحين طيب

الرائحة : تشبه به العيون . والنرجس واحدته نرجسة ، وهو دخيل معرب ، وليس له نظير في وزنه (لسان العرب مادة نرجس) ويقول الدينوري : ومن أساء النرجس (الفغو) - وقد مر ذكره في أبيات لبعض الشعراء - (والياسمين) وهو فارسي معرب معروف . و (البنفسج) و (الشقائق) نبت واحدته شقيقة سميت بذلك لحرمتها على التشبيه بالبرق وأضيف إلى النعمان لأنه حمى أرضا فكثرت فيها . وقيل النعمان اسم الدم وشقائقه : قطعه فشبهت حمرتها بحمرة الدم . (والكافور) : كم العنب قبل أن ينور ، وكذلك وعاء طلع النخل . وكافور الطلعة : وعاءها الذي ينشق عنها ، سمي كافورا لأنه قد كفرها أي غطاها ، وقيل الكافور : أخلاط تجمع من الطيب تركب من كافور الطلع . وقال الليث : الكافور نبات له نور أبيض كنور الأقحوان ، وقال ابن سيده : الكافور نبت طيب الريح يشبه بالكافور من النخل (لسان العرب مادة كفر) . والمعنى الأخير هو الذي يعيننا في هذه الدراسة .

وقد وردت هذه الأنواع في شعر الأعشى ، وذلك في قوله : -

(الديوان / ٢٩٣)

لنا جلسان عندها وبنفسج ويسيئر والمرزجوش منمنما
وآس وخيرى ومرو وسوسن إذا كان هنزمن درجت مخشما
وشاهفرم والياسمين ونرجس يصبحنا في كل دجن مغيا^(٢٧)

فالأعشى يصف مجلس الخمرة في هذه الأبيات وكيف يحيط بها من الأزهار والرياحين التي بعضها لم ترد في لغة شعراء عصره فيذكرها باسمائها الفارسية ، حتى يخيل إلينا عند سماع هذه الأبيات وكأننا نقرأ شعرا لأبي نواس أو أحد شعراء العصر العباسي . (فالجلسان) نثار الورد في المجلس ، وقيل الورد الأبيض : وقيل هو ضرب من الريحان وهو فارسي معرب فمعنى جل بالفارسية : ورد . (السيسنبر) هي الريحانة التي يقال لها النمام وهي لفظة فارسية (لسان العرب - مادة سيسنبر) (المرزجوش) هي المردقوش وهو بالفارسية وهو بقل عطري وقد جاءت هذه اللفظة في قول (ابن مقبل) :

(الديوان / ١٨٢)

خودٌ تطلّي بورد المردقوش على المسك الذّكي بها كافورةً أنفاً (٦٨)

وقصد بها النبات العطر ومعناه اللين الأذن ، ويبدو أن ورقه رقيق لين .
والورد : هنا الأحمر وقصد به لون زهر المردقوش والشاعر هنا يتحدث عن تعطر الفتاة التي تغزل بها بانها اخلاط من زهر المردقوش والمسك الذكي والكافور الأنف أي الذي لم يستخرج منه شيء قبلها . (والسوسن) نبت أعجمي معرب ، وهو معروف واجناسه كثيرة ، وأطيبه الأبيض (لسان العرب مادة سوسن) . (شاهفرم) ريحان الملك ، وقال أبو حنيفة : هي فارسية دخلت في كلام العرب (لسان العرب مادة : شهفرم) ووردت ثانية في شعر الأعشى وذلك في قوله :

(الديوان / ٣٥٧)

وعلالٍ وظلالٍ باردٍ وفليج المسك والشاهفرن

فيقول أنه يشرب الخمرة في غرف عالية ، وقد فت المسك ونثر الريحان فيها ، وكما مر ذكر (الكافور) في قول ابن مقبل كما ورد أيضا في شعر الأعشى وذلك في قوله : -

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(الديوان / ٣٦٥)

وبارد رتلٍ عذبٍ مذاقتُهُ كأنما علُّ بالكافور واغتبعا (٦٩)

فهو يصف ثغر محبوبته وهو الموصوف المحذوف ، فهو يقول بأن ثغر محبوبته بارد متسق عذب المذاق كأنما سقي بالكافور كأسا بعد كأس .

وذكر الأعشى (الياسمين) في بيت آخر وهو قوله : -

(الديوان / ١٧٣)

وشاهدنا الورد والياسمي ن والمسمعات بقصاها (٧٠)

ذكر بشر بن خازم (الياسمين) أيضا وذلك في قوله : -

(الديوان / ٦٣)

كأن الياسمين ونفح مسكٍ ذكي الريح حل به التجار
(والشقائق) وردت في شعر امرئ القيس في قوله :

(الديوان / ١٩٦)

نواعم تجلو عن متون نقية عيرا وريطا جاسدا وشقائقا^(٧١)
شبه حمرة ثياب النسوة المشبعة بالزعفران بحمرة شقائق النعمان وهو ورد أحمر
اللون أضيف إلى النعمان لأنه حمى أرضا فكثرت فيها هذا الورد ونوره أحمر ، وقيل
شقائق النعمان لأن النعمان هو الدم فشبه به هذا الورد لشدة حمرة .
وقد ذكر الشعراء الورد والزهر عامة في أشعارهم دون تحديد نوعه وذلك كقول
ابن مقبل :

(الديوان / ٩٥)

والأزرق الأصفر السربال منتصب قيد العصا فوق ذيال من الزهر^(٧٢)
في هذا البيت يصف الشاعر الروض والأزهار وإن كنا قد ألمحنا في مقدمة هذا
البحث إلى أن ذكر الأزهار جاء في الغالب للتشبه به في أشعار الجاهليين فإن الشاعر في
هذا البيت ذكر الزهر ليصف روضة غناء امتلأت به وانتشر حوله الفراش بألوانه
المختلفة .

وذكر الحطيئة الزهر في شعره قائلا :

(الديوان / ١٨٠)

بمستاسد القريان حوِّ تلاعه فنواره ميلٌ إلى الشمس زاهره^(٧٣)
في هذا البيت الذي قاله في المقدمة الغزلية من قصيدة مدح بها بغيص وهجا
الزبرقان وصف روضة غناء اشتدت خضرتها حتى ضربت إلى السواد ، من كثافة
الزروع وكثرة ظلاله ووصف بعض الأزهار التي تميل حيث تدور الشمس .

ولعدي بن زيد العبادي بيت يذكر فيه الأزهار :

(١٥٩/٥ - الديوان / ٨٤) .

كدمى العلاج في المحارب أو كا لبض في الروض زهره مستنير
وكذلك في قوله : -

(الديوان / ١٢٩)

كالبيض في الروض المنور قد أفضى إليه إلى الكثيب فعز
فهو في هذين البيتين يشبه النساء لبياضهن وصفائهن بالزهر المنير في الرياض .
ولطرفة بن العبد بيت يذكر فيه الزهر هو قوله : -

(الديوان / ٥١)

ولها كشحا مهابة مٌطفلٍ تقتري بالرمل افنان الزهر
فهو يشبه محبوبته بالمهابة المٌطفل المتنبهة لولدها ، وهي تتغذى الأغصان الغضة
والكلأ والأزهار ، ولا تشرب الماء وذلك أهضم لكشحا .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والشاعر عمرو بن شأس الأسدي^(٧٤) ذكر الزهر في أشعاره منها قوله : -

(شعر عمرو / ٣١ - ٣٢)

هنأتم حتى تنادوا لحالمهم بمعتلج كأنه لون سندس
ترى زهر الخوذان حول رياضه يضيء كلون الأنحامي المورس^(٧٥)
وقال أيضا :

(شعر عمرو / ٨٢) (اغاني / ١١ ص ١٨٨)

تذكرتها وهناً وقد حال دونها رعانٌ وقبعانٌ بها الزهر والشجر^(٧٦)

ذكر عمرو الزهر في البيتين الأولين ليصفه ويشبه زهر الحوذان بالبرود المصبوغ
بالألوان الزاهية .

وفي البيت الثالث جاء ذكر الزهر عندما تذكر المحبوبة بعد وهنة من الليل وقد
باعدت بينها أراض امتلأت بالزهر والشجر .
وذكر أمية بن الصلت الورد في قوله : -

(الديوان / ٤٢٨)

كأنما الورد الذي نشره يعبقُ من طيب معانيكا
دماء أعدائك مسفوكَةٌ قد قابلت بيضَ ايديكا

جعل من طباعه الطيبة هي الورد التي يعبق بالنشر العطر .

وان انتهى الكثير من الدارسين إلى أن ذكر الورود والرياحين جاء قليلا في أشعار
الجاهليين ، فإنهم في هذا القدر الذي اعتبر قليلا قد رقت معانيهم وعذبت الفاظهم
التي تظهر عمق تأثرهم بألوان الطبيعة الزاهية التي يصادفونها في بعض المواسم وفي
بعض المواقع من جزيرتهم حتى جعلتهم في بعض الأحيان يمزجون بين محاسن المرأة
ومحاسن الطبيعة فينتج من هذا المزج سبكاً جميلاً منظوما جعلنا في بعض الأحيان لا
نستطيع الفصل بين ان كان تأثر الشاعر منهم في هذا الجانب كان بسبب مشاهد
الطبيعة التي تلمس جوانبها الجمالية فشبه المحبوبة بها ، أم أنه كان بسبب المرأة التي
فنتته فجعل ينتقي لوصف جمالها هذه الرموز الجميلة .

ولسنا بحاجة إلى تحديد هذا التأثير إذ أن الغرض من هذه الدراسة هو التوصل
إلى أن الشعراء الجاهليين لم يغفلوا وصف الأزهار ، وان البداية العربية كانت تنبت
كثيرا من الورود والرياحين مما لفت أنظار الشعراء إليها على الرغم من أنها كانت أقل
أثرا وصلة في حياتهم المعاشية . إذ كانت الحيوانات على اختلافها تفرض نفسها في
حياة البدو وأسلوب معاشهم ، وعليها يعتمدون في تغلبهم في حين كانت الأوراد شيئا
كماليا في حياتهم .

الهوامش : -

- (١) بصري وجاسم : موضعان بالشام : الوسمي : أول المطر ، وابل : غزير .
 (٢) متتهاه : قبره : الديمة : المطر ليس فيه برق ولا رعد .
 (٣) الخوذان والعوف : نباتان طيبا الرائحة .
 (٤) النعمان : هو النعمان بن الحارث الأصغر الغساني الذي رثاه الشاعر في هذه القصيدة .
 (٥) (*) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي ، ولد في أوائل القرن السادس في نجد ونشأ في قبيلة كندة وهي أسرة ملوك كاسرتي الغساسنة والمناذرة ، وكان حجر والد الشاعر ملكا على بني أسد . وقد خلعه أبوه لتهتكه وتشبيه بنساء القبيلة فخرج على قبيلته وشارك الصعاليك في حياتهم ، فلما وافاه نعي أبيه ، أقسم أن يأخذ بثأر أبيه (الذي ضيعه صغيرا ، وحمله دمه وهو كبير) (أغاني ٦٧/٩ - ١٠٣ ، خزنة الأدب ٦٠٩/٣ - ٦١٢ ، ٢٦ - ٤٤) .
 (٦) (*) النابغة الذبياني : زياد بن معاوية بن ضباب ، من بني ذبيان ، لقب بالنابغة لأنه قال الشعر بعد أن أربى على الأربعين ، أو لأنه لم ينشأ في أسرة من الشعراء فكان الشعر نبغ فيه عنهم . وقد ذاع صيته في عهد النعمان الثالث أبي قابوس ، مما ألّب عليه الحساد ، فأوقعوا بينه وبين الملك ، ففر ناجيا بنفسه مخلفا وراءه المال والشهرة (اغاني ٣/١١) .
 (٧) الأعشى : هو ميمون بن قيس بن جدل بن شراحيل بن ربيعة بن نزار ويكنى أبا بصير ، وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدم على سائرهم . (اغاني ١٠٤/٩) .
 (٨) (*) بشر بن خازم الأسدي : - هو بشر بن عوف بن حمير بن أسد ، شاعر جاهلي قديم شهد حرب أسد وطى ، وكان بشر يهجو أوس بن حارثة الطائي . ويذكر امرؤ السعدي في بعض أهاجيه ، فاسره بنو طيء فاستوبه أوس منهم ، وكان قد أقسم ليحرقنه إن قدر عليه - إلا أن والدته ردته عن الثأر واستعفته عنه . فعفا ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجر ، قصيدة مدح (انظر موسوعة الشعر العربي القسم الأول / ٤٤١) . وهو ليس بعريق القدم في الجاهلية .
 (٩) (*) عدي بن زيد بن حماد بن زيد . . بن مضر بن نزار وقبيلته غنيم التي اجتمعت على النصرانية وهو ينحدر من أسرة بني العباد الذين كتبوا لكسرى وسفروا بينه وبين العرب ، وقد كان متصلا ببلاط النعمان الثالث في مطلع شبابه وأحد ندمائه ، حتى قدمه أحد المرازبة إلى كسرى ، وكان عدي أول من كتب بالعربية في ديوان الأكاسرة ، فعدى نشأ نشأة حضارية فقد عاش بين بلاطي الأكاسرة والروم فكان ذلك سببا في ترفق طبعه وصقل حسه .
 (اغاني ٨٠/٢ - ١٢٨ الحيوان ١٩٧/٤) .
 (١٠) (*) طرفه بن العبد : كان مولده في البحرين . نشأ يتيما من أبيه ، وكفله اعمامه ويقال لتبذيره ولفساد أهله ان يقسموا له ما تركه أبوه وظلموه وظلموا أمه ، وكان اسمها ورده ، وقد ذكرها في شعره ، وقد عاش متحلا من تقاليد بيئته حتى طرده أهله ، وجال في البلاد واتصل ببلاط المناذرة ، حتى وقعت الحادثة المشهورة مع خاله المتلمس عندما امر عمرو بن هند عامله في البحرين بقتلها . (الموسوعة الشعرية ٣٨٣/٢) .

(١١) (*) ابن مقبل هو نعيم بن أبي بن مقبل ويعود نسبه إلى قيس عيلان ، فهو من شعراء قيس ، كان أعور وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية وفترة في الاسلام إلى عهد معاوية ، وقد تزوج الدمهء بعد أبيه وكانت عادة لهم في الجاهلية ، وقد فرق الاسلام بينها .

(١٢) (*) الشماخ : هو ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن ذبيان ، وأم الشماخ انمارية من بنات الخرشب ، ويقال أنها من أنجب نساء العرب ، واسمها معاذة بنت بجير والشماخ مخضرم ممن أدرك الجاهلية والاسلام (اغاني ٩/ ١٥٤ - ١٦٧) .

(١٣) (*) ساعدة بن جؤية الهذلي : أحد بني كعب بن كاهل بن الحارث بن نعيم بن سعد هذيل بن مدركة ، شاعر محسن جاهلي وشعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة . (المؤلف والمختلف / ١١٣) (ديوان الهذليين القسم الثاني / ٢٠٨ - ٢٢٢) .

(١٤) (*) المتنخل : هو مالك بن عويم بن عثمان بن خفيس الهذلي ، من مضر ، يكنى أبا اثيلة (وهي ابنته) وهو من شعراء هذيل وفحولهم وقصحاتهم . (انظر الأغاني ٢٣ / ٢٦٠ - ٢٢٦ ، ديوان الهذليين القسم الثاني / ٥) (موسوعة الشعر العربي ١/ ٦٠٥) .

(١٥) (*) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني وهو من المخضرمين ومن فحول الشعراء طلب منه الخطيئة أن يقول شعرا يقدم فيه نفسه ثم يثني به بعده ففعل . وقد توفي أبوه زهير قبل مبعث الرسول (ص) وهو من مزنية أحد قبائل مضر . وقد كان لكعب ما لم يكن لغيره من الشعر فكان أبوه شاعرا وجده ، وخال والده بشامة بن الغدير الغطفاني وعمته سلمى ، وكذلك الخنساء ، وكان أخوه بجير شاعرا . (اغاني ١٧/ ٣٨ - ٤٦) .

(١٦) (*) أبو قردودة : شاعر جاهلي ، وكان خطيبا صاحب النعمان بن المنذر ونادمه ، وكان النعمان أبرش أحمر الشعر ، فعربد عليه يوما فقتله (معجم الشعراء / ٥٩ / ٥١٣) .
(١٧) (*) مالك بن حريم الهمداني : شاعر همداني في عصره وفارسها ومن أشهر لصوصها ، وكان يقال له مفزع الخيل ، ويعد من فحول الشعراء (الموسوعة ٤/ ٢١٣) .

(١٨) (*) مره بن الرواع الأسدي من بني حنظل بن مالك ، والرواع أمه وهي من بني سليم بن عامر ، شاعر جاهلي قديم ، عاش في عصر امرئ القيس وكان امرؤ القيس يعلم قياته اشعار بن الرواع ، وكانت الملوك تعلم قياته أيضا أشعاره (المؤلف والمختلف ١٨٥ ، معجم الشعراء ٢٩٤) .
(١٩) ديمة دلوخ : مثقلة بالماء .
(٢٠) الرس : البثر . أوعال : هضبة يقال لها ذات أوعال .

(٢١) الأحجاج : جمع حلاج وهو الحمل .
(٢٢) الحذول : الظباء التي تتخذ صواحبها وتختلف عنها وتنفرد مع وليدها الحلب : نبات ترعاه الظباء .
(٢٣) (*) هو عبيد بن الأبرص بن حنظل بن عامر ، لم يعرف زمن مولده ، وكان يعد في شعراء الجاهلية من الطبقة الأولى ، لكن ابن سلام جعله في الطبقة الرابعة ، وكان من سادات قومه وفرسانهم المشهورين ، واشتهر بأنه من دهاة العرب المحنكين يرجع إليه للفصل في المنازعات وقد نسجت حول موته الأساطير . (٢٥ ق هـ - ٦٠٠ م) (الأغاني ٢٣/ ٤٠٤ - ٤٢٣) .

(٢٤) اللطيمة : القطعة من المسك . المذائب : مجاري الماء في أسفل الجبل .
سار من المزن : السحابة التي هطلت ليلا . جلا : كشف .

(٢٥) عالج : رمل في جزيرة العرب ، طرقت بها : أي أتت بها ليلا . رسيس المس : أي أنها لينة الهبوب .
(٢٦) اناة : المرأة الرزينة . والشعار : ما دلس شعر جسد الانسان دون ما سواه من الثياب . يكله يخلطه ،
والورد : الأحمر اللون يضرب إلى صفرة . والمقطب : الذي يمزج .

(٢٧) كهول الخزامى : إذا ما انتهى الثبت منهتهاء فيكون قد اكتهل ، والظعن : جمع ظعينة وهي المرأة في
الهودج .

(٢٨) السعدان : نبت ذو شوك وهو من أطيب مراعي الابل ما دام رطباً . البرييطاء : موضع ينسب إليه
الوشى ، وقيل هي الثياب .
(انظر لسان العرب مادة بر يط) .

(٢٩) (*) الحطيئة لقب لقب به واسمه جرول بن أوس بن مالك بن جؤبة . . بن قيس عيلان بن مضر بن
نزار . وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم متدافع بين قبائل العرب ، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا
غضب على الآخرين . (الأغاني ج ٢ / ١٣٠ - ١٦٩) .

(٣٠) الخلى : الطيب من النبات .

(٣١) (*) هو قيس بن عبدالله بن عمرو بن عامر بن صعصعة ، وسمي النابغة لأنه أقام مدة لايقول الشعر ثم
نبح فقال له . وقيل أنه أقام ثلاثين سنة لايتكلم ثم تكلم بالشعر ، وقد كان طويل البقاء في الجاهلية
والاسلام ، وكان أكبر من الذبياني ، ويقال أنه مات باصبعان ، وفد على النبي (ص) فأسلم وحسن
اسلامه (نسبه واختباره في الأغاني ٣/٥ - ١٧) .

(٣٢) روقية : قرينه . رباعي الخزامى : أوله .

(٣٣) (*) حظظة الشرقي : أحد بني القين بن جسر بن شيع الله بن قضاة ، كان شاعرا فارسا صعلوكا
فاسدا ، وهو أحد المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ، وكان خبيث الدين فيها ، كان تربا للزبير بن
عبد المطلب في الجاهلية ونديما له (الأغاني ج ٣/٣ - ١٣) .

(٣٤) (*) وربعة هذا شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، وكان ممن أصفق عليه كسرى (أي ممن حسبه
في المشقر) ثم عاش في الاسلام زمانا (انظر الأغاني ٢٢/٨٧) .

(٣٥) الخنوة : نبت سهلي طيب الريح . وقيل أنها عشبة وضيفة ذات نور أحر (انظر لسان العرب مادة :
حنا) . حومل : اسم موضع .

(٣٦) امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث السكوني ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف / ٦ - القاهرة - طبعة ٧ -
سنة ١٩٦١ م .

(٣٧) روضة وسمية : أصابها الوسمي وهو مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات . الحلب : بقلة جعدة
غبراء في خضرة تنبسط على الأرض يسيل منها اللبن . إذا قطع منها شيء . وهو نبت تعتاده الأطباء .

(٣٨) الحجرات : جمع حجرة أي موقع التكة من السروال . يوم السبابس : هو يوم الشعانين وهو من أعياد
النصارى .

(٣٩) الحوذان والعوف : نباتان طيبا الرائحة .

(٤٠) (*) هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بني عبدة بن ربعة نشأ في بادية نجد ، بين بني قومه ، من
تميم فكان لنشأته في البادية أثر في صقل مواهبه وارهاف حسه ، ودقة ملاحظته ، عمر طويلا حتى أدرك
الاسلام ، وعاصر امرئ القيس - علما بأن امرئ القيس قد مات قبل الاسلام بمدة ، وكان يتطارحان

- الشعر ويلهوان معا . (مقدمة الديوان / ٥ - ٦) وسمي بعلقمة الفحل لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس (أخباره في الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٤ - ٢٢٩) .
- (٤١) أبيض هنا الابريق وقال أبيض يقصد أنه من الفضة ، والضح : ما طلعت عليه الشمس ، وهنا الشمس بعينها ، والمغموم : الطيب الرائحة ، كأنه مسدود لكثرة ريح الطيب .
- (٤٢) (*) أوس بن حجر ٥٣٠ - ٦٢٠م ، يرجع نسبه إلى تميم من فحول الشعراء الجاهليين ، وقد كان استاذ زهير بن أبي سلمى الذي نشأ في كنفه إذ كان زوجا لأمه . (خزنة الأدب ١/ ٤١٢ - ٤١٧) .
- (٤٣) الأرج : الرائحة العطرة ، الصدى : هنا بمعنى جثة الميت في القبر . منتهاه : قبره .
- (٤٤) الراووق : الوعاء الذي تروق فيه الخمرة ، خضل : دائم الندى لكثرة استعمالهم .
- (٤٥) درمك : التراب الناعم . مشارب : غرف يشربون فيها . صفق الخمرة : روقها بأن يصبها من اناء الى اناء . الحور : جمع حوراء وهي البيضاء . مناصف : جمع منصف وهو الخادم .
- (٤٦) اضغاث : ما ملأ قبضة الكف من الريحان .
- (٤٧) الجدد : جمع جدة وهي الخطئة من جلد الغزال تحالف لونه ، جوزة : وسطه ، ويريد ظهره ، والنجار : بمعنى اللون ها هنا ، والأدم : اي الطباء الأدم اي البيضاء . التوسيم : بمعنى الوسم اي العلامة .
- (٤٨) الغفو ، والغافية : نبت له رائحة وله ورد كورد الحناء . والأهقان : الجرجير البري ، وله نور أصفر . والمكتنان نبت ينبت على هيئة ورقة الهندباء ، ورقه بعضه فوق بعض وهو كثيف وزهرته صفراء .
- (٤٩) (*) الشنفرى من الشعراء الصعاليك وهو ثابت بن أوس الأزدي ولم يعرف تاريخ ولادته ، وقد عرف انه نشأ بين بني سلامان من بني فهم الذين أسروه ، وهو طفل صغير ، وقد أساءوا معاملته ، فلما شب عرف بقصة أسرته ، فحلف ان يقتل منهم مئة رجل ، وفعل .
- (انظر الاغاني ٢١/ ٢٠١ - ٢١٨) .
- (٥٠) حجر : أحيط . ريجت عشباء : اي فاتحت رائحتها في العشي : اطلت : أصابها الظل اي الندى . حلية : واد بتهامة . غير مستن : غير مجذب .
- (٥١) (*) هو الاسود بن يعفر بن عبد الاسود بن جبذل بن نeshل من بني تميم ، وهو احد العشي ، ويطلق عليه اعشى بني نeshل . شاعر جاهلي مقدم . فصيح فحل . كان من ندماء النعمان بن المنذر . وله في ذلك اشعار . (الأغاني ١٣/ ١٤ . خزنة الادب ١/ ٣٣٠) (الموسوعة ٣/ ٢٥٧) .
- (٥٢) سلافة : افضل الخمر . نصائبه : نصائب الدن وهو ما انتصب عليه الدن من اسفله وهو شيء يرفع به الدن للريح والشمس ، الغفو : ضرب من النبات طيب الرائحة . ملثوما : شد عليه اللثام .
- (٥٣) (*) هو العريان بن سهلة الجرمي هو احد بني جرم من طيء أو قضاة شاعر جاهلي مقل ، لم يرد ذكره في كتب التراث ولم يرد من شعره الا تسعة أبيات اوردها صاحب (ديوان الحماسة) .
- (٥٤) النوء : المطر .
- (٥٥) (*) النمر بن تولب بن أقيش بن عبد بن كعب . بن الياس بن مضر بن نزار . شاعر مقل مخضرم ، ادرك الجاهلية والاسلام وأسلم فحسن اسلامه ووفد الى النبي (ص) وكتب له كتابا فكان في أيدي اهله ، وكان النمر احد اجواد العرب المذكورين وفرسانهم (اغاني ٢٢/ ٢٨٧ - ٣٠٢) .
- (٥٦) ام الحويرث : هي هرام الحارث بن حصن بن ضمضم الكلابي ، وجارتها الرباب . وقيل هما امرأتان من كلب .

(٥٧) (*) سحيم عبد بني الحساس : كان عبداً اسود نوبيا أعجمياً ، مطبوعاً بالشعر فاشتراه بنو الحساس ، وهم بطن من بني أسد (أغاني ٢٢ / ٣٢٦ - ٣٣٧) .

(٥٨) (*) قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن حارثة الغطريف كان شاعر الاوس وبينه وبين حسان بن ثابت منافسات ، عاش الجاهلية والاسلام فدعاه النبي (ص) الى الاسلام ولم يسلم ، وقد اسلمت زوجته وكان يؤذيها فامرته النبي ان يكف اذاه عنها فلم يعرض لها بعد ذلك . (اغاني ٣ / ٣٠ معجم الشعراء / ١٩٦) .

(٥٩) (*) النابغة الجعدي هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عامر بن صعصعة ، وسمي النابغة لانه اقام مدة لا يقول الشعر . ثم نبغ فقال . وقبل انه اقام ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ، وقد كان طويل البقاء في الجاهلية والاسلام ، وكان أكبر من الذبياني ، ويقال انه مات باصبيهان ، وفد على النبي (ص) فاسلم وحسن اسلامه .

(تسبه واخباره في الاغاني ٣ / ٥ - ٧) .

(٦٠) يعلى : يسقي ثانية وهو العلل : أي الشرب الثاني .

(٦١) (*) هو أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف من ثقيف من بكر من هوازن . وامه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف ، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف . كان يعمل بالتجارة بين الشام واليمن ، ثم تزهّد ونسك وليس المسوح ، ونيز عبادة الاوثان ، وحرم على نفسه الخمر ، أقام في البحرين ثمان سنوات ، وعاد الى الطائف ، وقابل النبي (ص) وسمع آيات من القرآن ولم يسلم ، وقضى آخر حياته في الطائف حتى مات . (الاغاني ٤ / ١٢٢ . العمدة ٢ / ١٥٨ . الشعر والشعراء / ٣٦٩ ، ٣٧٢) .

(٦٢) (*) علباء بن أرقم بن عوف اليشكري شاعر جاهلي كان معاصراً للنعمان بن المنذر وكان النعمان قد أحى كيشاً (أي جعله حي) فوثب عليه علباء فذبحه ، فوصل الامر الى النعمان ، فلما وقف بين يديه أنشده قصيدة رائعة اعجب بها النعمان فعفا عنه وأثابه . (الموسوعة ٤ / ٧٧) .

(٦٣) الاصورة : جمع صوار وهو ألوعاء الذي يحرّق فيه المسك ، الارذان : جمع رذن وهو الغزل والخز . شمل : منتشر .

(٦٤) شاهنشاه : ملك الملوك .

(٦٥) الخوايا : مراكب النساء في الهوادج .

(٦٦) الخلق والخلق : ضرب من الطيب ، وقيل طيب يأخذ من الزعفران .

(٦٧) هزمن : عيد من اعياد النصارى . دجن : غائم شديد المطر . المخشم : السكران الشديد السكر . وخشمه الشراب : ثنورت ريحه في الخيشوم وخالطت الدماغ فاسكرته .

(٦٨) الخود : الفتاة الشابة البكر .

(٦٩) رتل : مستو . اغتبق : شرب للمرة الثانية .

(٧٠) المسمعات : الجواري المفتيات . قصاب : جمع قاصب وهو الزامر في القصب والقصابة : المزمار . المزه : العود .

(٧١) متون : الظهور . الریط : ضرب من الثياب . الواحدة ریطة وبها سميت المرأة . والجاسر : الثوب المشبع بالزعفران .

(٧٢) الأزرق الأصفر : يصف الفراشات ، وتكون في موسم الخصب . السربال : القميص . قيد العصا :

- اي على مد العصا وهو مجرى الماء في الرياض . الذيال : الطويل الذيل ، يريد به ساق الزهر .
- (٧٣) المستأسد : اذا طال الزرع وأتم . القران : مجرى الماء في الرياض . واحداها قرى ، لأنه يقرى الماء يجمعه . الحو : التي اشتدت خضرتها حتى ضربت الى السواد . التلاع : مسيل الماء الى الوادي واحدها تلعة . ميل الشمس : يقصد به النوار الذي اذا طلعت الشمس يدور حيث تدور .
- (٧٤) (*) عمرو بن شأس الاسدي : شاعر من بني أسد عاش في الجاهلية أكثر حياته ، ثم ادرك الاسلام ، واسلم وحسن اسلامه ، فجاهد في سبيل الله وابلى في موقعة القادسية بلاء حسنا مع قومه بني أسد ، ومات بعد الواقعة بقليل (اغاني ١١ / ١٨٤) .
- (٧٥) الحوذان : نبت لونه أصفر . الانجمي : ضرب من البرود . المورس : المصبوغ بالورس ، والورس : نبت اصفر يكون باليمن .
- (٧٦) رعان : جمع رعن بالفتح ، انف يتقدم الجبل . القيعان : قاع ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الاكام .
- الوهن : نحو منتصف الليل .

المصادر والمراجع :

- الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني - عبد الستار فراج - دار الثقافة ببيروت .
- أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي - احمد محمد الحوفي - مكتبة نهضة مصر - القاهرة .
- جهمرة أشعار العرب - لأبي زيد القرشي - تحقيق علي محمد الجاوي - دار نهضة مصر - القاهرة - الطبعة الأولى .
- الحيوان - الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) - تحقيق عبد السلام هارون - طبعة الجليلي - ١٩٤٣ .
- خزانة الأدب البغدادي - عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) - طبعة بولاق - القاهرة - ١٢٩٩ هـ .
- ديوان ابن مقبل - تحقيق عزة حسن (مديرية احياء التراث - دمشق - ١٩٦٢) .
- ديوان الاعشى - شرح م . محمد حسين - الناشر مكتبة الآداب - الطبعة النموذجية - مصر ١٩٥٠ م .
- ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف - مصر ١٩٦٤ .
- ديوان أمية بن الصلت - تحقيق عبد الحفيظ السلطي - المطبعة التعاونية - دمشق - ١٩٧٧ .
- ديوان أوس بن حجر - محمد يوسف نجم - دار صادر - بيروت ١٩٦٧ .
- ديوان بشر بن خازم الأسدي - تحقيق عزة حسن - دمشق ١٩٦٠ .
- ديوان الحطيئة - تحقيق نعمان أمين طه - مطبعة البابي الحلبي - مصر - ١٩٥٨ .
- ديوان سحيم عبد بن الحسحاس - تحقيق عبد العزيز الميمني - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٥٠ - الناشر الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان الشماخ - شرح أحمد بن أمين الشنقيطي - مطبعة السعادة - مصر ١٣٢٧ هـ .
- ديوان الشماخ - تحقيق صلاح الدين الهادي - دار المعارف - مصر ١٩٦٨ .
- ديوان طرفة بن العبد - دار صادر - دار بيروت - بيروت ١٩٦١ .
- ديوان عبيد بن الأبرص - تحقيق حسين نصار - ط القاهرة ١٩٥٧ - بيروت ١٩٥٨ .

- ديوان عدي بن زيد العبادي - تحقيق محمد عبد الجبار المعيد - دار الجمهورية للنشر والطبع - بغداد - ١٩٦٥ .
- ديوان النابغة الذبياني - تحقيق وشرح أكرم البستاني - دار صادر - بيروت ١٩٦٣ .
- ديوان المهذلين - نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان علقمة الفحل - تحقيق لطفي الصقال ، ودرية الخطيب - دار الكتاب العربي - حلب ١٩٦٩ .
- ديوان عمرو بن قميئة - تحقيق حسن كامل الصيرفي - مجلة معهد المخطوطات ١٩٦٥ .
- ديوان قيس بن الخطيم - تحقيق ناصر الدين الاسد - دار صادر - بيروت ١٩٦٧ .
- ديوان لبيد - تحقيق احسان عباس - الكويت ١٩٦٥ .
- الشذى المؤنس في الورد والترجس - علي الجندي - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦١ .
- شرح ديوان كعب بن زهير - لأبي سعيد السكري - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٥٠ .
- الشعر والشعراء - لابن قتيبة الدينوري - ت ٢٧٦ هـ - طبعة بيروت ١٩٦٤ .
- شعر الطبيعة في الادب العربي - سيد نوفل - دار المعارف - مصر - الطبعة الثانية .
- شعر النابغة الجعدي - عبد العزيز بن رباح - منشورات المكتب الاسلامي - دمشق - ط (١) ١٩٦٤ .
- صناجة العرب (الاعشى الكبير) مصطفى الجوزو - دار الطليعة - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٧٠ .
- الطبيعة في الشعر الجاهلي - نوري حمودي القيسي - دار الارشاد - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٧٠ .
- العصر العباسي - شوقي ضيف - دار المعارف - مصر - الطبعة الرابعة .
- العمدة لابن رشيق القيرواني - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر ط ٣ - ١٩٦٣ .
- مفتاح الراحة لاهل الفلاحة - مؤلف مجهول - تحقيق محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمدة - السلسلة التراثية - المجلس الوطني الثقافي والفنون والاداب - الكويت - ١٩٨٤ .
- المؤلف والمختلف - الأمدي (ت ٣٧٠ هـ) - طبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦١ .
- موسوعة الشعر العربي - الشعر الجاهلي المجلد الاول - اختارها وشرحها وقدم اليها - مطاع صفدي - أيليا حاوي - شركة خياط للكتب والنشر بيروت ١٩٧٤ .
- قصائد جاهلية نادرة - يحيى الجبوري - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٢ .
- معجم الشعراء - للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) تحقيق عبد الستار فراج - مطبعة الحلبي - مصر ١٩٦٠ .





د. احسان النص



ARCHIVE

لقد جِزَعْتُ فما أَغْنَانِي الْجَزْعُ
وقد بَكَيتُكَ حَتَّى نَضَبَ الدَّمْعُ
وقد دَعَوْتُكَ مِنْ خَلْفِ التُّرَابِ وَمَا
لِمَنْ دَعَا مِنْ وَرَاءِ التُّرْبِ مُسْتَمِعُ
يُهِيبُ بِي الصَّحْبُ: مَهْلًا، لَا تَكُنْ جَزَعًا
وَكَيْفَ لِي وَنِيَاطُ الْقَلْبِ مَنْجَزَعُ
كُلُّ الْجِرَاحِ مَعَ الْأَيَّامِ مُلْتَمِّمُ
لَكِنْ لَلْثُكْلِ نَزْفًا لَيْسَ يَنْقَطِعُ
فَقَدْ الْبَنِينَ كُلُومٌ لَيْسَ يَلَأُمُهَا
مَرُّ السِّنِّينِ وَلَا سَلَوَى لِمَنْ فَجَعُوا
يَكَادُ قَلْبِي إِذْ بُلِّغْتُ مَصْرَعَهُ
يُفَلِّقُ الصَّدْرَ أَوْ يَنْزُو بِهِ الْهَلْعُ

لو كان قلبي من الجلمود فتته
وقد الفجيرة في الأحشاء يندلع
ما حيلتي وفؤادي فلذة خفقت
زجاجة من ميس الحزن تنصدع
لو كان لي حيلة في بعث من وضعوا
تحت التراب لقد أحييت من وضعوا
لكنني عاجز والخلق يعجزهم
بعث الحياة ولو في بعثها اجتمعوا
هل من سبيل إلى السلوان أسلكها
عز العزاء وما في العمر متسع
خلفت بعدك في الأحشاء يا ولدي
ناراً تلظى بها الأنفاس تلتذع
لقد بكيت فما جفت مدامع لي
وقد جزعت وإني ذلك الجزع
ماذاك شعر ولكن نفت ذي كبد
تفطرت وفؤاد قدّه الوجع

* * * *

عذوبة كمنع زلال
ورقة كالطيف والخيال
يداعب الأطفال كالأطفال
يناظر الرجال كالرجال
نفس ظهور مثل زنبقة الربا
وبراءة كبراءة الأطفال
ودمائه تحكي النسيم إذا سرى
ووضاءة كتألق الآمال

* * * *

أقسم ما أحبيت مثلك ولدا
أقسم ما مددت لتأديك يدا
أقسم ما عرفت في خلقك أحدا
أقسم لا أنساك ما عشت أبدا

* * * *

ثلاثين عاماً عشتُها أرعى نبتك الغصّة
رعيك برمش العين ولحظ الجفون وخفق الفؤاد
لحظات عمرك القصير عشتها لحظة بعد لحظة
أرغب نموك بلهفة وفرحة
قلبي يخفق بخفقات قلبك الطاهر من كل إثم
ويرفُّ قلبي كلما رأيت براعمك تتفتح
ويومض الفرح في عيني كلما رأيتُ عودك ينمو
إذا ألم بك المرضُ أرقّت لك
وإذا ساورتك الهمومُ اهتممت لك
وإذا أبهجت أمرٌ سررت لك
حتى إذا غدت غصنا متفتح الأكمام
اختلسك الموتُ مني في لحظة
عصفت بغصنك المورق ريحُ القدر العاتية
وأودت بشبابك الغضّ رُعونة سائق طائش

* * * *

وجاءني النباُ الصاعقُ فلم أصدّق
ورأيتك مسجى في نعشك فلم أصدّق
ورأيت اللحدَ يغيّبك فلم أصدّق

وحدثت نفسي أن ما رأيته حلمٌ من الأحلام
وإن إيادا الحبيب سيعود سيعود
هكذا كنت أخاطب نفسي إذا جنَّ الليلُ
وهكذا كنت أحادث نفسي إذا انبج الصُّبح

* * * *

كنت أرجو أن أرفك إلى عروسك
وكنت أرجو أن أناغي أطفالك
وكنت أرجو أن يطول عودك
وكنت أرجو أن تذوق حلاوة الدنيا
فزففت إلى المنية
فناغتك المنية
فهصرته المنية
فدقت مرارة المنية

* * * *

تبا حياة مرها دهرٌ وحلوها لحظات
لعقة من عسل وجرعات من علقم

ARCHIVE

<http://Archivebe.net>

تبا لدهر : ينتشي إذا تأوه المتألمون
ويقهقه إذا أعول الباكون
ويسخر إذا جد الجادون
ويحطم إذا شاء العاملون

يُهبب بي القوم : أن تجلّد
فما أنت أول من افترط ولدا
وأجيبهم : صدقتم
ولكن لفراق الولد لذعة
لذعة لا يعرفها إلا من ذاقها
وقدها أشدُّ من الجمر
ومذاقها أمرٌ من الصبر

وَكَيْهًا يَدُومٌ مَعَ الْعُمَرِ
تُؤَرِّقُكَ إِذَا هَبَّجْتَ
وَتَلْزِمُكَ إِذَا انْتَبَهْتَ
إِذَا طَعِمْتَ تَغْصُ بِطَعَامِكَ
وَإِذَا شَرَبْتَ فَمَا يَسُوعُ شَرَابُكَ
هِيَ جُرْحٌ يَنْزُ أَبَدًا

* * * *

قالوا : تلجد فما يجدي البكاء على
ميتٍ وقد جاء أمرٌ خطُّه قَدَرُ
أجبتهم : خلق الانسان ذا جَزَعٍ
إني جزوعٌ وعُذري أني بَشَرُ



* * * *

ARCHIVE

دمشق ١٩٨٤/١١/١٥ Archivebeta.Sakhrit.com



الموروث الشعبي

والمسرح العربي

ساروق خورشيد

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

التراث الشعبي في المسرح العربي

مدخل :

(١)

نستعمل مصطلح « المسرح العربي » ونحن نقصد به الى معنيين متغايرين وان كانا متكاملين ، فنحن نعني أولا الواقع المسرحي العربي كما تحقق فوق خشبات المسرح العربية في طول المنطقة العربية وعرضها ، وكما دون في المطبوعات التي حملت الى دنيا الادب ما قدم على خشبة المسرح من أعمال مسرحية ، وما لم يقدم على هذه الخشبة ، وألف باعتباره نصوصا مسرحية وحسب . . الا أننا نستعمل مصطلح « المسرح

العربي» ونحن نقصد به شيئاً آخر تماماً . . اذ نحن في العديد من دراساتنا في المسرح وفي التاريخ الادبي نقصد به الازهاصات المسرحية في تراثنا الادبي ، كما نقصد المظاهر الاولى لوجود المسرح في أشكال بدائية أولى . .

فنحن من ناحية نطلقه على الأعمال الأدبية أو الشعبية التي هي بطبيعتها أعمال دراسية وأعنى أنها تأخذ شكل الفصول والمشاهد والحوار والتشخيص . . ونحن من ناحية أخرى نطلقه على العروض التي تخايل سلوك الجماعات والأفراد في مناسبات ما ، أو تجسد متبقيات معبدية قديمة ، أو متبقيات طقسية محورة وأما ظلت موجودة ومتناقلة بشكل أو بآخر على مر الزمن . . ونحن في هذه الحالة نستعمل مصطلح « المسرح العربي » ونحن نقصد به ما نستطيع العثور عليه من جذور ضاربة في التاريخ الحضاري للانسان العربي . .

ومن هنا كان الحديث عن التراث الشعبي في المسرح العربي يعني السير في خطين متوازيين : الخط الأول هو البحث عن تأثير التراث الشعبي في المسرح العربي المعاصر . والخط الثاني هو البحث عن الملامح المسرحية في الموروث الفني القديم . . وقد حاول الادباء المعاصرون وكذلك الدارسون المعاصرون في مطلع عصر الريادة اغفال قيمة التراث الشعبي كمصدر من مصادر ثقافتهم أو انتاجهم الادبي ، ونظروا اليه نظرة ازدراء تحط من قيمته الفنية والأدبية والجمالية ، بل لقد اعتبره بعضهم خطراً يستقطب اهتمام جماهير الشعب ويجب الخلاص منه واحلال نوع آخر من العطاء مكانه . . والذي لا شك فيه أنهم جميعاً كانوا يحاولون الاصلاح ، وكانوا يحاولون ارساء الحياة الأدبية الجديدة على أسس صحيحة من وجهة نظرهم ، ولكن الأمر أن السلفيين منهم كانوا دائماً ينكرون على الادب الشعبي بعامة ، والفن الشعبي على الاجمال ، ما تسلل اليه من متخلفات المعتقدات الموروثة القديمة مما لا ينضبط انضباطاً كاملاً مع الرؤية الدينية الصريحة والواضحة ، والتي تنكر كل ما لا يقع تحت الانضباط الديني الكامل من قول أو معتقد أو ممارسة . . وقد حصر السلفيون أنفسهم في التراث المرتبط بالدين بشكل واضح ، فما ارتبط بعلوم الدين قبلوه ، وما لا

حاجة لعلوم الدين به أهملوه ، وما أتفق مع المعتقد والممارسة الدينية اهتموا به ، وما اختلف معها رفضوه واعتبروه من غثاء القول ، ومرفوض الكلام فالأمر في غالبه عندهم أبيض وأسود ، ولا ألوان بينهما . . وهذا الموقف من السلفيين اندرج على ما نسجه الخيال الشعبي حول الأبطال والخوارق والملائكة وأولياء الله الصالحين من قول أو ممارسات موروثه أيضا . . ولكنه أنتج آخر الأمر موقف التجاهل العنيد للمأثور الشعبي تلقيا منطقيا وواضحا . . ولكن هذا الموقف على أية حال يرتبط ، الى حد كبير ، بموقف بدراسة ، وإهمالا كاملا للمتداول والمطروح من أمر هذا المأثور بعامة ولأمر الأدب بوجه خاص . . ولكن هذا الموقف على أية حال يرتبط ، الى حد كبير ، بموقف السلفيين بعامة من الأدب الدرامي بأشكاله المختلفة ، وأما أصحاب الحداثة فقد ارتبط التراث الشعبي عندهم بكل ماهو متخلف من مظاهر الحياة والفكر في بلادهم . بل لقد اعتبروا الممارس من العادات والأعراف عدوا ينبغي محاربته والقضاء عليه . وخرجت روح التعالي والنفور تضع حدا فاصلا بين الثقافة الاوربية التي فتتوا بها ، والسلوك الاوربي الذي استهواهم ، وبين الممارس من ثقافة محلية بجذورها الشعبية العميقة ، والممارس من سلوك مستمد من قيم موروثه لها جذورها الضاربة في عمق تاريخ الانسان العربي . والواقع أن هذا الموقف قد تناقض مع نفسه تمام التناقض ، ففي الوقت الذي حملوا معهم فيه الميثولوجيا الاغريقية والعبرية والاوربية القديمة باعتبارها نماذج حضارية فكرية ، وأصولا رئيسية من أصول الثقافة الاوربية المتحضرة ، رفضوا فيه - أي في نفس الوقت - الميثولوجيا العربية وما تركته من متبقيات فكرية من المأثور الشعبي بين الناس ، وهم في هذا يتجاهلون أبسط الحقائق العلمية والحضارية التي تعلموها في الغرب ، ويريدون أن يبنوا يومهم وغدهم على أمس غيرهم ، دون النظر الى الأساس الموجود والطبيعي في أرضهم هم وفي دنياهم هم ، والذي لا يصلح أي بنية يقوم على غيره . . فنحن نقر أن المستجلب والمحدث قد يساعد على جودة التشييد ودقة البناء ، ولكننا لا نستطيع أن نوافق على اقامة أي بنية أصيل صالح للبقاء على غير الأرض الطبيعية التي نريد أن تشيد عليها .

مصطلح « التراث الشعبي » مصطلح شامل نطلقه لنعني به عالما متشابكا من الموروث الحضاري ، والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ ، وعبر الانتقال من بيئة الى بيئة ، ومن مكان الى مكان في الضمير العربي للانسان المعاصر . . وهو بهذا مصطلح يضم البقايا الاسطورية أو الموروث الميثولوجي العربي القديم ، كما يضم الفولكلور العربي في البيئات العربية المختلفة سواء كان الفولكلور القولي أو الفولكلور النفعي أو الفولكلور الممارس ، وسواء ظل على لغته الفصحى أو تحول الى العاميات المختلفة السائدة في كل بيئة من هذه البيئات . وسواء كان من الفولكلور النمطي العربي العام ، أم كان من الفولكلور البيئي الذي تفرضه ظروف البيئة وظروف الممارسات الحياتية في هذه البيئة . . ويضم هذا المصطلح أيضا الأدب الشعبي ، المدون والشفاهي ، ماهو تراث منقول عبر المكان والزمان ، وظل يقاوم كل محاولات طمسه حتى وصل الينا بصورة محددة واضحة في المطبوع من هذا الادب ، والمحفوظ الثابت البيئة في ذاكرة الحفظة لهذا الادب .

فمصطلح « التراث الشعبي » اذن يضم الممارسات السلوكية والطقسية معا ، كما يضم الفولكلور ، والميثولوجيا العربية ، ويضم ايضا الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي ، أو العطاء الجمعي لادباء الشعب العربي في مسيرته الحضارية من قديم والى اليوم . .

ومنذ مطلع التاريخ وهذه المنطقة مرتبطة ارتباطا كاملا باعتبارها بؤرة جغرافية موحدة المصالح ، وموحدة الموقف التاريخي . . تتبادل مراكز النقل الحضاري من الشرق والغرب والجنوب ، ففي شرقها تظهر الحضارات البابلية والاكدي والاشورية والسومرية وفي جنوبها تظهر الحضارات اليمنية والسبئية والحيميرية والاسلامية ، ومن شرقها تظهر الحضارات الفرعونية والكنعانية والعبرانية والمسيحية والاندلسية . . وتبادل مراكز الحضارات فيها يعني حروبا داخل المنطقة لانهاء حضارة بلغت مرحلة الشيخوخة لتحل محلها حضارة أخرى مزودة بفتوة الفكر والتمدن الاكثر حداثة ، والعطاء الجديد الذي يؤكد وجود هذه البؤرة الجغرافية وتميز كيانها . .

وهذا يعني وجود الثروة المتكاملة في المنطقة ، تلك الثروة التي تكفل استمرار المسار الحضاري سواء كان قطبها المعطي في الشرق أو الوسط أو الجنوب - تلك الثروة التي تتمثل في القدرة البشرية من ناحية ، وفي خصب الوديان الزراعية من ناحية ثانية ، وفي ثراء المعادن والمواد الصالحة لتطوير الحضارة وصناعة تمدن الانسان من ناحية ثالثة . . كما انها تلك الثروة التي تتمثل في قدرة المنطقة بظروفها البيئية على خلق الانسان المبدع والمفكر والتأمل بالدرجة الأولى ، فالحضارات لا تبنى بمجرد القوة العضلية للبشر ، ولا بمجرد الثروة الزراعية أو المعدنية في البيئة بل لابد من وجود الفكر المتأمل والوجدان الحي ، وقدرة الانسان على الحلم بالمستقبل الافضل ، والاستمرار في حمل رسالة التطور المستمر الذي لا يتوقف ولا يتهادى . . وهذا يعكس بلا شك القدرة على التواصل والتنقل التي تتيح المعرفة وتناقل المعرفة ، والتي تتيح الاحتكاكات ، وتولد الشرارات المبدعة الناجمة عن هذه الاحتكاكات ، والتي قد تكون سلمية في غالب الأحيان ، والتي قد تكون دامية في أحيان كثيرة ، ولكنها في كلتا الحالتين قوة فعالة في التواصل والاستمرار ، وفي تبادل المعلومة ، والمعرفة العامة ، والابداع الفكري والفني بصفة خاصة . . وهذا التواصل كفيل نوعا من التزاوج العرقي والاجتماعي والفكري بين شعوب المنطقة ، وجعل تبادل البشر وتبادل الفكر وتبادل العطاءات المدنية أمرا حتميا - أن توقف حيناً لسيب أو لآخر - فهو يعود ليتواصل ويتأكد من جديد . . فانتقال مركز النقل الحضاري من جزء الى جزء آخر لا يعني سوى تغير مركز الاشعاع ، اذاً ستظل القوى الفاعلة في خلق هذا الاشعاع واستمراره هي قوى المنطقة كلها ، على امتداد رقعتها وعلى اختلاف بيئاتها . .

وهذا التكامل يؤكد وحدة المنطقة جغرافيا وتاريخيا ، ويؤكد أيضا تضامنها في الوقوف أمام المطامع التي حاقت بها منذ فجر التاريخ . .

فمن قبل الاسلام كانت المنطقة تتوحد دائما تحت لواء الجزء المنتصر المشع منها والذي يفرض قوته على باقي المنطقة فتبعية صاغرة حيناً ومتمردة حيناً آخر ، ولكن بعد انتشار الاسلام أصبح توحيدها اختياراً وعقيدة ، وأصبح وجود اللواء في جزء منها لا يعني أنه يستعمر أو يقهر باقي الاجزاء وانما هو يعني أنه الاجدر بحمل اللواء لانه أقوى

أجزاء البلاد الإسلامية وأجدرها بحمل اللواء لاستمرار معنى التوحد ولا استمرار معنى القوة والتماسك بين أبناء المنطقة . . وقد ساعد على إبراز هذا المعنى أصرار التعاليم الإسلامية على التسامح الديني ، والتعايش بين الموحدين من أبناء الديانات السابقة عليه والتي هي من صلب عطاء هذه المنطقة نفسها . . فهو وإن أصر على أن الدين عند الله هو الإسلام إلا أنه أفرد مكاناً بكرماً للذميين وأصحاب الديانات السماوية ليشاركوا في صنع الحياة تحت لوائه دون حجر ودون اضطهاد . . وقد ساهم هذا الموقف مساهمة فعالة في تقبل أبناء المنطقة للإسلام سواء من دخل منهم الدين الجديد ، أو من بقي منهم على دينه إذ أن عناصر الخلاف الحادة لم تكن موجودة ولتحققه بالفعل ، وإذ أن المنطقة كلها كانت تروم فرصة حقيقية لإعلان توحيدها ، وكيانها المميز فكرياً وحضارياً وخلقاً وسلوكاً . .

وجاء الإسلام ترجمة حقيقية لكل الموروث الخلقي والفكري والفلسفي لأبناء هذه المنطقة . . إذ كانت تعاليمه إبرازاً حضارياً لكل الصالح من موروثهم الخلقي والسلوكي والفكري في مختلف مجالات الحياة ، إذ جاء تسامحه الديني فرصة حقيقية للاحساس بالانتماء مع التفرد ، أو بالترابط مع بقاء الذات بموروثها التقليدي في تعايش يسمح باستمرار المسيرة الحضارية ، ويسمح من جديد ، وفي تقبل وطوعية ، بتحمل عبء ضريبة الدم في الدفاع عن المنطقة أو في محاولة الامتداد حولها .

وإذا كان الإسلام قد بلور روح الانتماء ، وثبت معنى الوحدة بين أجزاء المنطقة ، فقد أكد المد الإسلامي هذا كله حين وحد اللغة بمفهومها الديني ومفهومها الحضاري معاً . . فكون العربية هي لغة القرآن الكريم ، ربط بين معنى الدين ومعنى اللغة ، وكون العربية هي لغة المسلمين الرسمية ، ربط بين معنى الحضارة الإسلامية ومعنى اللغة . . فأصبحت اللغة العربية بهذا تحمل المحتوى الفكري الإسلامي ، والمحتوى الحضاري الغربي الخارج من الجزيرة ، والإسلامي المتكون من الرسالة الإسلامية والممارسة الحضارية على طول مدى التفوق الإسلامي والحضاري . . فاللغة العربية بهذا وعاء فكر وممارسة وحضارة معاً . . وحين هجر أبناء المنطقة لغاتهم المختلفة القديمة إلى اللغة العربية كانوا يؤكدون بهذا هجرتهم الفكرية والعقائدية إلى

لتصور الاسلامي للفكر والسلوك والحياة جميعا . . وهذه الهجرة لم تتم فجأة ولم تتم قرار ، وإنما هي تمت على مراحل تطويرية وتدرجية هامة ، ساعدت على تطوير الموروث القديم الى السياج والمحتوى الجديدين وساعدت على تقبل هذا السياج لفتح فرجات فيه تطل منه البقايا الصالحة من هذا الموروث القديم الذي حاول أن يقارب بين معطياته وبين المعطيات الجديدة التي يقدمها له الدين الجديد ، وتقربها له اللغة الجديدة . . وفي أحيان كثيرة كانت هذه المتبقيات الحضارية الشعبية القديمة تتعارض والقيم الجديدة ، ولكنها كانت تجد من هذه القيم من التسامح ما يكفل لها الحياة ، وما يتيح لها أن تحتبىء تحت مظلة من المظلات العديدة التي يقدمها الموروث الشعبي الوافد والجديد ، فتزواج معه وتتعايش وتطل بوجودها من خلاله وتحت ظلاله .

وإذا كانت هذه القضية تنطبق على شعوب العالم بعامة ، فهي أكثر انطباقا على منطقة جغرافية لها وحدتها المكانية من ناحية ، ولها مشاركتها التاريخية - ان سلبا وان ايجابا - الموحدة على مر تاريخها القديم والوسيط ، بل والمعاصر أيضا . فان قلنا أن الملامح الشعبية لهذه المنطقة كانت موجودة بحكم الضرورة والواقع ، أدى بنا هذا التثبيت الى الاحساس بالانتماء المشترك عند شعوب هذه المنطقة أيا كانت الاختلافات التي ظهرت في عباراتها القديمة ، أو في مواقعها الثقافية من مرحلة تاريخية الى مرحلة تاريخية أخرى ، وأيا كانت مواقعها من التفوق والتبعية من مرحلة تاريخية الى مرحلة تاريخية أخرى . .

وسنلاحظ أن الاسلام جاء معدلا لمسارات بعض هذه الممارسات الدينية والعقائدية والسلوكية ، دون نفي كامل وانكار جذري لوجودها ، كما أن الاسلام كان التنظيم الموحد الذي يسلك كل هذه الاختلافات في مسار واحد منضبط له قواعده الاساسية ، وله أهدافه المحددة ، وله أيضا أنماطه السلوكية ، ولكنه أيضا يحمل من المرونة والفهم ما يجعل تطور الموروث ليساير الخط العام شيئا يتم بالتدرج ، مع ازدياد الاندماج العربي ، واللغوي والحضاري ، ومع ما تفرضه الظروف التاريخية المتوالية من ضرورة مواجهة الخطر المشترك ، ومن ضرورة خلق الاخوة في الله وفي السلاح وفي الأرض أيضا . .

فالاسلام اذن جعل للمنطقة ديناً موحداً ومكملاً للاديان السماوية المنتشرة فيها ، كما حمل لغة تبلور فكر المجموع وتشركهم جميعاً في أصول ثقافية واحدة ، كما تشركهم في موروث ثقافي متراكم عبر الزمان ، يساهم كل جزء من أجزاء المنطقة في بناء أحجار فيه ولكنه موروث موحد ، يحمل اسم المنطقة كلها ، ويرثه أبناؤها جميعاً ، بعد أن تكرر معنى أنتمائهم الموحد ، المصري والحضاري معا . .

(٣)

نحن نقصد بالموروث الشعبي العربي اذن ، الحصيلة الشعبية المتبقية من الممارسات الشعبية لآبناء المنطقة كلها عبر التاريخ ، سواء منها ما تبقى من ممارسات شعبية عرفتها شعوب المنطقة قبل الاسلام ، أم تمت ممارستها في أقاليمها المختلفة بعد انتشار الاسلام . . كما أننا نقصد الحصيلة المتبقية من العطاءات الشعبية لآبناء المنطقة جميعاً ، سواء منها ما خرج من الجزيرة العربية أو ما تبقى في ضمائر أصحاب الحضارات المختلفة من آبناء المنطقة جميعاً .

فالحديث اذن عن الموروث الشعبي العربي يأخذ في اعتباره أن هذا الموروث وان وصل إلينا باللغة العربية إلا أن أصوله الأولى كانت بغير هذه اللغة ثم تحولت إليها بعد أن سادت وأصبحت اللغة الوحيدة لآبناء المنطقة . . وحتى في الموروث المستقى من منابع عربية أصيلة أي من جذور تنتمي إلى أرض الجزيرة العربية فنحن نأخذ في اعتبارنا أنها أقدم من حيث التاريخ والممارسة الفعلية والوجود الثقافي من اللغة القرشية التي بلورها القرآن الكريم وحدد مسارها ، ثم قننها أصحاب اللغة وأصحاب البلاغة بعد هذا ، ووضعوا لها قواعد النحوية والصرفية والبلاغية ، تلك القواعد التي صاقتها على مر الزمن من الزوال والاندثار وان سمحت لها بالتطور والاستيعاب والسعة على مدار العصور والبيئات ، التي شهدت امتدادها ورسوخها واستيعابها لكل جديد من معطيات الأحداث والتطورات المدنية والحضارية أيضاً . .

وقد ظل الموروث الشعبي العربي ، مثل غيره من الموروثات الشعبية يتناقل شفاهاً ، وعبر قنوات متعددة وغير مرئية ولا مرصودة في المراحل الأولى للثقافة الشعبية

التوارث ، اذ أن هذا الموروث يشكل التكون الأول للعقل الانساني في كل بيئة ، ويرسم ويرصد ردود الأفعال العقلية والوجدانية التي صدرت عن الانسان أثناء ممارساته البدائية الاولى للحياة في بيئته وما يحيط بها من ظروف جغرافية ، سواء منها ما يتعلق بالمناخ أو بالارض أو بالحيوان . . ومن هنا كانت ضرورة العودة الى المنابع الأولى للثقافة العربية ، كما كانت ضرورة العودة الى المنابع الأولى للثقافات غير العربية التي شاركت في تكوين الصورة الاخيرة للحياة العربية الاسلامية في شكلها المتكامل فيما بعد . .

واذا كانت معظم شعوب العالم قد تمكنت من التعرف على المراحل المتقدمة من مكونات ثقافتها ، اذ وصلت نفسها بسرعة بقنوات الانتقال الشفاهية ، وتطورها الى القنوات المكتوبة ، كما تمكنت من العثور على حقائق ثابتة عن مراحل التطور الحضاري الذي مرت به شعوبها . فحفظت أساطيرها ، ودياناتها القديمة ، بكل طقوسها المعبدية القديمة ، وما تمخضت عنه الممارسات المعبدية من مراحل تطور للمعطيات الثقافية ، فقد حدث في دنيانا العربية ما حجب عنا هذه الرؤية الواضحة ، وما جعل الصلة بين القنوات الشفاهية والقنوات التدوينية للموروث مقطوعة وغير متصلة ، مما جعل التوصل الى المرحلة الاسطورية ، والمعبدية بالنسبة للثقافة العربية بالذات وهي الثقافة الأم والأصل في المكونات الثقافية للمنطقة ، شيئاً شبه متعذر . . وبحيث أصبح مالدينا منه لا يمثل حقيقة هذا الموروث القديم ، وانما يمثل حقيقة ما سمح به من هذا الموروث ، وما تبقى بصورة متغيرة ومعدلة عن الاصول الأولى لهذا الموروث . . ذلك أن الدعوة الاسلامية وجدت أمامها مقاومة جادة وبالسلاح من أصحاب الديانات القديمة في الجزيرة ، وذلك أن هذه المقاومة أخذت شكل الدعوة المضادة التي تستعمل الموروث الاسطوري القديم ، وتستعمل ارتباط أبناء الجزيرة الغريزي بعباداتهم ومعتقداتهم القديمة كسلاح تحارب به دعوة الاسلام حرباً لا هوادة فيها ، وذلك أيضاً أن هذه المقاومة استغلت الممارسات الشعبية الموروثة في ضرب تقاليد السلوك ونمط الفكر الذي يمثله الاسلام ويدعو اليه . . وكان لابد للاسلام وهو في خضم هذه المعركة الضارية أن يضرب بيد لا هوادة فيها على كل ما يربط الناس

بالعبادات الوثنية القديمة ليقضي عليها ، وكان لابد له أيضا أن يزيل بعنف ودون تردد كل المتبقيات التي ترمز الى هذه العبادة كالاصنام والمعابد القديمة والممارسات المرتبطة بهذه العبادات كطقوس وثنية ثابتة أو موسمية أو مرتبطة بالمناسبات الاجتماعية ذات الدلالة الخاصة في حياة انسان الجزيرة . . وكان لابد للاسلام أيضا أن يشكل حائطا سميكا أمام الكميات الهائلة من الموروث القولي العربي القديم المرتبط بالمفاهيم الوثنية القديمة ، والمثل للسلوكيات المتوارثة عن الأساطير القديمة . والذي يحمل التفسيرات الموروثة لموقف الانسان من الكون ، ومن الاله ، ومن معطيات البيئة حوله ، إذ أن هذا السد الهائل كان يبلور الثقافة القديمة التي جاء الاسلام ليحول مسارها ، وليرسي لها قواعد فكرية مخالفة ، ولكي يصحح مسارها الفلسفي لتتلاءم مع الاسلام ، والا فعليها أن تزول وتندثر وتختفي في فكر الأجيال المسلمة الجديدة .

وإذا كانت سيادة دعوة التوحيد قد اقتضت الحسم في الموقف من العبادات ، فقد اقتضت أيضا الحسم في الموقف من الموروث الشعبي المرتبط بهذه العقائد والعبادات ، وإذا كان الاسلام قد قضى على الأوثان والمعابد ، وحطم الاصنام وطهر الجزيرة من مراكز عبادتها ، فقد قضى على الأساطير المتعلقة بهذه العبادات ، والطقوس المصاحبة لهذه الأساطير والتي كانت تمارس داخل المعابد بصفة جماعية ، أو داخل المنازل بصفة ذاتية ، قضاء حاسما وكليا . . فحرمت كل الممارسات المعبدية القديمة كما حرمت كل الطقوس القولية التي كانت مصاحبة لها ، وأدى هذا الى اندثار الأساطير العربية واختفائها من الحياة القولية الممارسة بعد الاسلام ، بل والى اختفاء ماجاء من موروث قولي سابق للاسلام ويحمل هذه الاساطير أو اشارات اليها ، أو حالات الى رموز ترتبط بها بشكل أو بآخر . . ونذهب بهذه الى انه قد تمت حالات تصفية حقيقية للموروث القولي العربي قبل الاسلام ، وأنه قد بذلت محاولات جادة وحقيقية في اسقاط هذا الموروث من ذاكرة حفاظه ، واحلال العطاء الاسلامي الجديد محله ، وشغل الحفظة المسلمون الجدد أنفسهم بحفظ القرآن وأحاديث الرسول . والاشعار الاسلامية ، والخطب التي يلقيها كبار المسلمين عن الاستمرار في حفظ المأثور العربي القولي القديم . . كما شغل عامة الناس بالتعرف على دينهم الجديد ،

وفهمه وممارسة تعاليمه وعباداته ، عن كل الطقوس القديمة المتوارثة عن أيام الوثنية والعبادات العربية القديمة . . كما حلت الممارسات الاسلامية في عبادة الاله الاحد ، محل كل المتبقيات الاسطورية والمعبدية القديمة . . وتحولت الكعبة بكل رمزها القديم الى رمز اسلامي جديد يحيل مكانتها القديمة الى مكانة جديدة تستمد معناها وقداستها من الدين الجديد ، الذي أحدث حولها أحلالا قوليا جديدا يزيح كل ما كان حولها من معطيات اسطورية قديمة ليبقى هذا الاحلال القولي ويرسخ في أذهان العرب ، منذ ظهور الاسلام وحتى اليوم وهو نفس الموقف الذي اتخذته الاسلام في الكثير من المتبقيات الشعبية التي رأى لها جذورا حقيقية من الصعب انتزاعها ، وان كان من السهل تحويلها وتعديلها لتتلاءم مع الفكر الجديد ، وبحيث لا تعارض مع العقيدة الموحدة الجديدة ولا تختلف معها ، بل والتي يمكن توظيفها في خدمة هذه العقيدة ، وفي غرس بذورها الاكيدة في نفوس المسلمين الجدد . وقد تم هذا بالنسبة لاشهر الحرم ، وبالنسبة للانبياء العرب القدماء ، وبالنسبة لحكايات الشعوب العربية القديمة البائدة وما ظل في الموروث العربي من ذخائر قولية حولهم وحولها . . وقد تم هذا أيضا بالنسبة للذخائر القولية الشعرية التي تمثل قمة ما توصل اليه الفكر العربي والقول العربي والادب العربي القديم .

وفي كل هذه الملاءمات لم يسمح الاسلام الاجمالي لا يتعارض معه فكرا وعقيدة . . كما أنه أغفل عن عمد واضح كل ما يرتبط بما سمح به من متبقيات بالاساطير القديمة والممارسات القديمة . . ولم تعد بهذا أمام موروث شعبي عربي تقليدي كذلك الذي نراه عند الشعوب الاخرى التي التحمت فيها قنوات النقل الشفاهي بقنوات التدوين دون عائق . . وانما أصبحنا أمام متبقيات شعبية مرت من خلال مصفاة هائلة لم تبق فيها الا مالا يتعارض مع الاسلام ، فان سمحت بغير هذا فهي تسمح بما تم تحويله وتعديله في الشكل والمضمون - بما لا يتعارض مع فكر الاسلام وعقيدته وروحه وخلقه وممارساته جميعا .

واذا كان هذا قد حدث بالنسبة للموروث العربي القديم قبل الاسلام ، فقد حدث شبيه له بالنسبة لما جاءت به الشعوب الاخرى ذات الحضارات القديمة والتي

دخلت الاسلام . . فهذه الشعوب قد دخلت الاسلام بعد موروث من ديانات متكاملة وقديمة ، حددتها فلسفات دينية وفكرية ، وعبرت عنها طقوس معبدية ثابتة ، وأفرزت كل هذه الفلسفات والطقوس موروثات قولية ذات عراقة وذات أصالة فكرية وفنية وأدبية ذات قيم راسخة . . ولم يكن الاسلام مستعدا للتسامح مع هذه الديانات التي تحمل في نفوس أصحابها موروثا عقائديا وأسطوريا وقوليا ترسب عبر مئات السنين ، وارتبط لا بمجرد العقائد الدينية ، وانما بالعصبية الجنسية والحضارية أيضا ، والتحم التحاما كاملا بتواريخ هذه الشعوب ومعاركها ، وكفاحها من أجل حضارة مميزة ، ومن أجل عطاء في المدنية أكثر ثراء من كل مدنات العرب ومعارفهم الحياتية . . ولهذا فقد كان موقف الاسلام صارما من هذه الديانات ، فلم يكتف بتحريمها وهدم معابدها ، وانما تعقب طقوسها وممارساتها في نفوس المسلمين من أبناء هذه الشعوب ، وأسقط كل الحقوق عمن ظلوا على عقائدهم وممارساتهم القديمة ، واستباح كل مقدساتهم وحرماهم . . وكانت معاركه بعد الانتصارات العسكرية معارك أشد ضراوة في تعقب الديانات والقضاء عليها ، كما كانت معاركه أشد حدة في احلال العقيدة الجديدة ، والفكر الجديد محلها .

ولكن الأمر هنا أيضا لم يسر بسهولة ، فقد قفزت اتهامات الزندقة والشعبوية والاحاد ، والدس ، والمجوسية والمزدكية ، كتهم تتناول هؤلاء الذين حاولوا القيام بهذه العملية الفكرية أو النفسية الملائمة بين موروث شعوبهم وبين الاسلام من ناحية ، وبين موروثهم والموروث العربي الوافد من الجزيرة العربية من ناحية أخرى . . وعلى الرغم من أن هؤلاء قد أدركوا أن سلاحهم الأول في خلق مكان لهم في المجتمع الجديد هو التفقه والتسلح باللغة العربية اتقاناً وممارسة متفوقة ، الا أن هذه التهم أحاطت بهم - الا فيما ندر - وشكلت معركة ضارية بينهم وبين من خافوا على نقاء الدين وعروبة الحضارة ، ومن هذا المد الحضاري الوافد ، وان كانوا أمام خيره العميم ، وفائدته العظمى لا يستطيعون الا احكام الحصار والرقابة دون المنع القاطع والالغاء العنيف ، الا ما يعلق الامر منها بالعقيدة نفسها ، وما تعلق منها بالمبادئ الاولى للشرائع الاساسية والثابتة . . وقد مرت المسألة بتيارات مد وجزر كثيرة ، فمرة تتبنى الدولة

الاسلامية عملية الترجمة والنقل عن كل الشعوب السابقة للإسلام في ركب الحضارة والمدنية ، تنتقل الى اللغة العربية ثروات كل الشعوب السابقة من علوم في كل المجالات ، وآداب في كل الفنون ، وفلسفات في كل الاتجاهات ومرة تقوم السلطة الاسلامية نفسها بعملية الحجب المتعمد والقاسي ، والوقوف الواضح أمام كل حركات النقل والترجمة والاقتباس . وبين هذا المد والجزر ظل التيار الشعبي يتواء تدريجيا مع المعطيات الجديدة للثقافة الاسلامية ، مشاركا فيها ، ومؤثرا في مسارها من ناحية ، ومضيفا اليها ومبقيها فيها متبقيات موروثة الشعبي القديم من ناحية أخرى . . والذي لا شك فيه أن موقف السلطة الاسلامية قد أثر الى حد كبير في عصور الأخذ والنقل والمواءمة ، بمدد وجزره ، ولكن على كل حال - لم يحدث القطعية الأكيدة بين الناس وموروثهم الشعبي ، أو ما تبقى منه في ممارستهم وفكرهم ، وحافظتهم القولية لما تبقى من معطيات قولية شعبية قديمة ، وفنون شعبية أخرى أدواتها تخالف أداة القول ، وإن كانت لا تقل عنها تأثرا وفعالية . . وحملت فنون الغناء والموسيقى ، والرقص والتخيل ، كما حملت فنون الزخرفة والرسم ، اثارات وعطور الحضارات القديمة ، والمتبقيات الثابتة من الموروثات الشعبية القديمة للشعوب المختلفة ذات الاسهام العريض في هذه الفنون ، الى الحضارة الاسلامية ، والعطاء الفني ، والشعبي العربي الاسلامي المتطور والمتبلور الجديد .

<http://ArabicArchive.com>

ومن هنا لم نكن نستطيع أن نفصل رؤية هذه الفنون عن موروثات الشعوب الاسلامية ، هذه الموروثات الراسخة في أعماق أبناء هذه الشعوب .

ومن هنا يمكننا أن نقول أن الموروث الشعبي القولي الذي وصلنا ليس هو الاسطورة العربية القديمة أو الاسطورة البابلية أو اليمنية أو الفينيقية أو الفرعونية القديمة ، وإنما هو هذه الاسطورة وقد صاغتها ابداعات جديدة لتتلاءم مع الروح الاسلامية ، فهي عمل تدخلت فيه الصياغة الجديدة الى حد كبير ، ولكي نصل الى الاصول الاصلية لهذه الموروثات يمكننا أن نقوم بالكثير من المقارنات ، وأن نعتد على الحدس والاستنتاج ، والاقتراضات العلمية والنقدية التي لا معدى عنها للاقترب الى حد ما من الروح الاصلية لهذا الموروث الشعبي القولي . . والأمر الذي في هذا سيات

أن بحثنا عن أصول هذه الموروثات في المنايع العربية أو في المنايع القديمة عند شعوب المنطقة الاسلامية ، بل أننا سنضطر في الكثير من الأحوال - الى افتراض أن ثمة عملية مزاجية وتداخل قد تمت في مراحل نجهلها من تاريخ هذا الموروث الشعبي - بين أصوله المتعددة ، عربية كانت أو غير عربية .

القسم الأول

الموروث الشعبي

نحن وقد حددنا لانفسنا ما نقصده بمصطلح الموروث الشعبي ، نعود لنسأل أنفسنا عما نريده من هذا الموروث في اطار المسرح . . فالمسرح من الأشكال الأدبية التي لم يعرفها أدبنا بصفة رسمية الا بعد الاحتكاك المباشر بالحضارة الغربية وفنونها . . ولعل هذا يبدو أكثر صدقا فيما يتعلق بالنص المسرحي منه بالحق المرحلي نفسه .

ولم يفهم المترجمون العرب قضايا أرسطو مع المسرح - فقد أسموا الدراما الهجاء ، وأسموا الكوميديا المدح . . ولم يفهموا وظيفة خلقية وانسانية خلف هذا المعنى النفعي للوجود المسرحي عند أرسطو حين ترجمته وحين نقل قضاياه الى العربية . ومن هنا . ظل المنطوق الارسطي غير مفهوم عند العرب الى فترة طويلة من زمن . . كما ظل المعنى الارسطي حول الدراما والكوميديا ترجمة سطحية مضحكة عند الدارسين العرب الذين لم يجدوا في هذه المصطلحات ما يشكل عندهم ولا في أدبهم مصادقات تصلح للبحث والمقارنة . . الا أن هذا الاغفال الساذج للمنطوق الارسطي شيء ، والوجود الفعلي الطبيعي والسليم للعطاءات العربية الفنية المنسجمة مع المقولات الارسطية شيء آخر . واذا كانت هذه المقولات الارسطية قد اشتقت أصلا من الاحتفالات المعبدية ، وما كان يقدم في هذه الاحتفالات من نصوص دينية تخيل أو

تمثل المعركة الأبدية بين اله الخير واله الشر ، وهزيمة اله الخير أمام وحشية وطغيان اله الشر في التراجيديا ، ونصوص دينية تخيل أو تمثل أشراق الحياة وسيطرة الخصب والهه على الوجود في أعياد الحصاد في الكوميديا . فان العرب لا شك على اختلاف تراثهم الديني قد عرفوا هذه الطقوس وزاولوها كغيرهم من الشعوب . . فالتراث الاسطوري العربي القديم يحمل كل العوامل التي خلقت الوجود الدرامي للادب المسرحي عند اليونان ، والتي استطاع أرسطو أن يحدد مقولاته الدرامية على أسس متطورة منها . والسؤال الذي يثور هو : هل خلت الموروثات الشعبية القولية العربية تماما من الدراما . . واذا كانت توجد آثار درامية فالى أي حد ظل ارتباطها بالمعنى المعبدي القديم . . والى أي حد وصلت في تطورها الفني ؟ ثم لماذا لم تظهر متكاملة بموروث مسرحي قولي عربي . . ؟

وفي نفس الوقت هل الاحتفال على شكل خشبة المسرح ، شيء يمكن أن يغيب عن أشكال الاحتفالات الاخرى سواء على مستوى العامة ، أو على مستوى الخاصة الذين يتحلقون حول مكان ما لمشاهدة عرض يقدم في هذه المساحة المحدودة ، أيا كان الشكل الذي ستظهر فيه هذه المساحة ، وأيا كان الغرض من هذا الاحتفال . . فالتحلق حول الراوي أو المتحدث أو المخبر يخبر جديد ، ظاهرة اجتماعية عضوية ، تنشأ كفعل اجتماعي عادي ماكان هناك مجتمع ، وما كان هناك فضول يتحكم في رغبات هذا المجتمع وفي سلوكه . . وكتب الأدب وكتب التاريخ تحكي لنا الكثير عن حلقات السمر في المضارب في المراعي ، وفي مجالس السمر في المدن والديساكر حول القدران في النهار ، وحول راكية النار في الليل ، وتنقل لنا معلقة أمرىء القيس صورة للقاءات البهجة والتحلق حول النار التي تشوى فوقها اللحوم ، والتقاذف بقطع اللحم في مرح الشباب وانطلاقه . . ويحفل الشعر وخاصة في أوائل العصر الأموي بوصف المجالس والمسامرات ، ومطارحة الشعر ، والحكايات . . ويخصص معاوية بن أبي سفيان جزءاً من وقته للمسامرة والمندامة والاستماع الى حكايات الاقدمين . . كما أن الأسواق الادبية ومنها عكاظ أشهر من أن تغفل في هذا المقام . . الا أن هذا كله شيء ، ووجود الشكل المتكامل الذي يحدد للنظارة مكانا ولاصحاب

العرض مكانا يتحركون فيه ، في عمل يقدم على الجمهور فيما هو شكل العرض المسرحي يحتاج الى تطور خاص في نوع العرض ، ونوعية أصحابه ومقدميه ، كما يحتاج الى تطور خاص في مهمة وظيفة العرض ودوره الاجتماعي والثقافي عند المجتمع بعامة شيء آخر . غير أن بعض السير الشعبية وبعض الحكايات العربية القديمة تقدم لنا صورا لمحافل التسلية والطرب والوانه ، يقوم بالعرض فيها محترفون مما يشي بأن فكرة الخشبة المسرحية - وان تخلصت تماما من الارتباط بالدين ظلت وسيلة من وسائل تقديم العروض الفنية أو شبه الفنية ، ومن هذه الاشارات يمكن لنا أن نكون سلسلة مترابطة من وجود لفكرة العرض المسرحي بشكل أو بآخر ، وان كنا نستطيع أن نحدد له تسلسله التاريخي ابتداء من المعابد المجدولة من الحلفاء وهي نواة المعبد القديم ، الى أشكال المعابد المتعددة المنتشرة في المنطقة وصولا الى بيوت النار ، وبيوت القرايين ، ثم الى « الاخشف » أو « الغبغب » ثم « الكعبة » مجمع الاصنام العربية القديمة قبل الاسلام .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.3k.khrit.com>

الفصل الاول

ملامح دراسية في الموروث الشعبي

١ - القول

يرتكز الموروث الشعبي العربي القولي على ما حفظته لنا ذاكرة الحفظ ، ثم دونته كتب الاخبار من ثروة شعرية ضخمة ، وعلى ما حفظته لنا ذاكرة الحفظ ودونته كتب الاخبار والتفاسير والادب من حكايات وأخبار وقصص تقصر حيناً حتى لا تزيد عن سطور ، وتطول حيناً حتى لتصل الى حدود الملاحم . . وسنلاحظ أن هذه الاخبار والقصص قد رصفت في جانبها الاكثر بمقطوعات الشعر ، أو شواهد ، دلالة على ما جاء بالخبر أو القصة من حدث اما لتأكيد صدق الحدث ، واما لاضفاء المعنى الوجداني على دلالات الحدث القصصي نفسه .

والواقع أن الحصيللة الفنية الرئيسية للعرب في موروثهم أقتصرت على فنون القول هذه ، وعلى ما قد تؤدي اليه هذه الفنون القولية من نشاطات فنية أخرى تابعة ومكملة . . وقد نتج هذا عن عاملين هامين : الاول هو موقف الاسلام من الفنون التشكيلية كالنحت والرسم ونهيه عنها نهيا كليا ، وكذلك الامر بالنسبة للفنون الترفيهية كالرقص والغناء التي كانت تعتبر أشياء مكروهة تصرف الانسان عن العبادة والتدين . . ويقول فوميون باورز في كتابه « المسرح في الشرق » ، « وقد جاءت الغزوات الاسلامية في القرن الثاني عشر حتى القرن الخامس عشر فشلت معظم النشاط الفني الهندي » . . ثم يقول ، « وقد نفذ الغزاة المسلمون الى داخل الاماكن الهندية المقدسة ، وعندما يزور الانسان اليوم هذه المعابد المهجورة ، يرى صفوفًا متراصة من التماثيل المقطوعة الرؤوس ، أو الكوات التي انتزعت من داخل الصور والقيت الى الخارج . وقد حرمت تعاليم القرآن الكريم الفنون التصويرية ، وعانت من ذلك فنون الرقص والدراما . . » ثم يقول « وكان المسلمون يعتبرون الفن الذي يصور الالهة ، أو يستخدم بعضا من الطقوس الدينية ، عملا من أعمال الكفر ، أما الفن باعتباره عملا دنيويا فانهم كانوا يعتبرونه شيئا منافيا للاخلاق ، وفيه انتهاك لقواعد السلوك ، واذا استثنينا فنون العمارة والموسيقى البحتة ، ما عدا فن التصوير ، نجد أن الحكم الاسلامي في بلاد الهند كان خافقا للفنون من ناحيتها الجمالية . .

والعامل الثاني لسيادة الفن القولي على كل الموروث العربي الفني هو أن الاسلام وضع الكلمة في موضع التكريم ، والكلمة الاولى التي نزلت من القرآن الكريم كانت أمراً للرسول باستعمال الكلمة . . اذ جاء الامر (اقرأ) في سورة العلق ، وهي أول ما نزل من القرآن الكريم واضحا وصریحا في أن البشرية تدخل بهذا الامر في عصر المعنى الذي تجسده الكلمات . . فتقول السورة : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم . . ﴾

ويمكننا هنا أن نقول أن « القول » مقروءاً ومعلوماً هو مفتاح الجزء الاكرم من الانسان . . وبالتالي فالاسلام قد ارتبط منذ كلماته الاولى بالعطاء القولي ، أو

بالموروث المعرفي الذي تنقله الكلمات مقروءة ومكتوبة على السواء . . وهذا القرآن الى جوار ما يحصل من تشريع وأصوليات ، يحمل المعرفة بما كان من أمر العالم ، ومن أمر الانسان في صراعه من أجل الخير وانتصاره على كلمة الشر والكفر . . فهو نهاية المطاف لانه يكرم عقل الانسان الذي وصل الى المرتبة التي تحتم عليه الاقرار بوحداية الخالق فلا يشرك به أحدا ، ولا يشرك به شيئا من مخلوقاته ورموز قوته ووجوده . . ولا يجسده بما يحد من وجوده الذي هو كل الوجود ، ولا يحدده بشكل من الاشكال اذ هو المجرد والمطلق الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . . العقل في سموه هو الذي يستطيع أن يتخطى رحلة التجسيد بالصورة أو التمثال لتقريب فكرة الالهية ، والعقل في سموه هو الذي يستطيع أن يجرد الله من الصفات ليكون هو كل الصفات . . ووصول العقل الانساني الى هذه المرحلة تكريم للعقل الانساني ، وتكريم للانسان . .

والعرب قد عرفوا الكلمة ذات الجرس والايقاع بصور متعددة لعل أكملها وأوفاهها هو شكل القصيد العربي . كما عرفوا الكلمة ذات المحتوى الذي يضم الى جوار الجرس والايقاع ، الموضوع المستفاد من الخبرة الانسانية ، لعل أكملها وأوفاهها هو شكل المثل العربي وأبيات الحكمة . . ولكنهم عرفوا في كل منها الكلمة ذات الوجود المنفرد ، والتي هي أيا كان أستعمالها طاقة لها وزنها ، ولها سرها . . ومن الواضح أننا نعني هنا الكلمة الخاصة التي تحمل من الدلائل والمعاني ما لا تحمله الكلمة المستعملة في الحياة اليومية ، أي الكلمة التي تسوق خبره وتجربه ، وتعبر عن مكنون ومستور داخل العقل أو داخل النفس على السواء . . وهذه الكلمة لا تأتي من فراغ وإنما هي تأتي بكل التجارب السابقة التي مرت بها في استعمالاتها المتعددة ، تأتي وقد حفلت بالرموز والأيحاءات والدلالات ، تأتي وهي تشير الى أشياء معروفة ، وتشير أيضا الى أشياء مبهمة استجنها الضمير الانساني ، وطوت هي حروفها على سره ، وعلى تراكمات متعددة في هذا السر . . من هنا تحدثوا عن اللفظ الشعري ، واللفظ غير الشعري ، ومن هنا تحدثوا عن أسرار الكلمات . . فالكلمة المستعملة في الموروث القولي الفني أرتبطت منذ البدء بمعنى التفوق على القدرة الانسانية العادية ، وبلغ

أحساس العربي بهذا المعنى الحد الذي جعله يرفض أن يعتبر قائل الكلمة هو مصدرها الحقيقي ، بل اعتبره مجرد وسيط ينقل هذه الكلمات الى الناس ، فهي بتركيبها وجرسها وظلالها وأسرارها أعلى من قدرة الاسنان .

والشاعر له رأي من الجان يوحي له بكلماته وأشعاره ، وعرف العرب هؤلاء الجان بأسماء يربطون بينها وبين أسماء الشعراء . .

في الموروث العربي أن العرب ربطوا بين المهتم وبين الجان . . فالجان هم الذين يحملون رسالة الالهة اليهم ، والكهان هم الذين ينقلون هذه الرسائل الى البشر في أسجاعهم ، بحيث أرتبط السجع ، أو الكلام القصير الموقع ، بالكهانة .

ولم يرد في كتب الاصنام شيء من حديث الكهان الا مسجوعا بأعبار كلاما فوق كلام البشر ، نقله الكهنة فيما أخبرت به الالهة من حديث مسجوع على السنة الجان . . والى هؤلاء يشير القرآن الكريم في سورة الجن الايات ٦ ، ٧ في قوله : ﴿ وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ، وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ﴾ . . فال مقاومة لكلمات الله وآي القرآن انما جاءت من هؤلاء الرجال من الانس الذين يعوذون برجال من الجن ويزيدونهم كفرا وضلالا . . وفي نفس الوقت استعمل القرآن الدلالة العكسية ، اذ جعل ايمان نفر من الجن بالقرآن دليلا على فهمهم لاعجازه القولي . وفهمهم لبيانه الذي لا يكذبه من يعرف قدره . . وفي الآية ٥ من سورة الانبياء يقول تعالى : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ﴾ فسحر الكلمات مصادرها معروفة عندهم ، هي هذه المصادر الغامضة التي ترتبط بالحلم أو الشعر أو الكهانة . . وهم يريدون شيئا معجزا ماديا ، لا يرتبط بهذه المصادر التي ثبت في ضميرهم الجمعي أنها ترتبط بالجن وإجاء الشياطين . وفي نفس السورة في الآية الثالثة منها قول القرآن الكريم مبينا موقفهم هذا : ﴿ لاهيه قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ . . وفي سورة الصافات الايات ٣٥ ، ٣٦ قوله تعالى : ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أننا

لتاركو آهتنا لشاعر مجنون » . . فالربط في أذهان العرب قائم أذن بين السحر والشعر والجنون والحلم والكهانة كمصدر للقول الفني . ويقول القرآن الكريم في سورة يس الآية ٦٩ : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين ﴾ . . ويقول في سورة الحاقة الآيات ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ : ﴿ انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . . ﴾ وتصل قمة تأكيد القرآن الكريم على هذا المعنى في خطابه للرسول في سورة الطور في الآيات ٢٩ ، ٣٠ فيقول : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون ﴾ . . ونعود الى ما وقفنا عنده سابقا لنقول ان الكلمة العربية امتلأت بهذا الموروث الشعبي المترسب فيها من عطاءات الاحلام والسحرة والجن والشعر ، أي من عطاءات الكلمة المنحدرة من الاستعمال المعبدى القديم ، والمرتبطة بالتراكمات الفولكلورية التي أضافها الاستعمال من عصر الى عصر ومن بيئة الى بيئة ، ولكنها ظلت محصورة في هذا الاطار القديم . وأصبحت لا ترتبط بالمعنى القاموسي وحده ، وإنما هي مرتبطة بالدلالات الاستعمالية وما أضفته عليها من ظلال ، وما خرجت بها اليه من استعارات وكنيات ، وما جسدت فيها من متبقيات الحكايات والاساطير والممارسات الشعبية القديمة المرتبطة بالدين القديم ، والمرتبطة بمصادر القول في المعتقد الشعبي من حلم وسحر وكهانة وجن وجنون . وشعر . . وهو ما جمعته الآية الكريمة من سورة الانبياء في قولها : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ﴾ .

٢ - الاحلام

والاحلام وما فيها من رؤى مصدر غامض ، اذ تتم والانسان في حالة غيبوبة ، أو في حالة من فقدان الادراك الواعي بحقيقة ما يتخيل من صور وأحداث خلال حالة الحلم . وقد أهتم العرب بهذه الظاهرة ، وربطوا بينها وبين الشفافية وقد أفرد المسعودي في الجزء الثاني من مروح الذهب حديثا مفصلا عن الحلم أو (الرؤيا) ، أورد فيه الكثير من الاقوال المتداولة حول الرؤيا اذ يقول : « وقد تنازع الناس في

الرؤيا ، والسبب الموقع لها وما أهميتها ، وكيفية وقوعها . . » ثم يورد قول فريق « أن النوم هو اشتغال النفس عن الامور الظاهرة بملاقة حوادث باطنة فيه » . . وقول فريق آخر : « أن النفس تدرك صورة الأشياء على ضربين : احدهما حس ، والاخر فكر » ويرى أن فكر الانسان في اليقظة يمنع الحس « حتى اذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التي أخذتها من اعيان الاشياء فيها قائمة كأنها محسوسة لأن الحس بها في أحيانها كان قبل أستيلائها بالفكر ضعيفا ، فلما ارتفع الحس قوي الفكر لعبور الاشياء كأنها محسوسة فخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذ انه يقظان للشيء الذي كان أشبه ، وليس لذلك نظام ، اغما هو ما اتفق ، ولذلك يرى الانسان انه يطير وليس بطائر واما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ، ولكن فكرته فيها تقوى حتى كأنها معانيه له ، فأما ما يراه من الاشياء التي تدل على ما يريد فانما ذلك لأن النفس عالمة بالصور ، فاذا حلقت في المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما ينالها . . » .

وهذه الاراء في الرؤيا تجعل من الانسان ذخيرة من الاحاسيس والصور ، تنطلق عند النوم لتعيد تركيب هذه الاحاسيس والصور ، فالنوم قد خلص النفس الانسانية من كثافة الجسم والارتباط بالمادة وأتاح لها أن تتخلى وتعيد تركيب ما تخيله ليلا ثم رغباتها وأهوائها . . وهي صورة أقرب الى تفسير الفن بمعناه الدرامي منها بتفسير الاحلام . . اذ ارتفعت بالنفس الى درجة من القدرة تتيح لها في النوم اعادة خلق الصور وتركيبها . . وهذه الرؤية الفنية طريقة هامة لانها تأكيد لادراك معنى التخيل ، واعادة تركيب المشاهد والصور في عالم الحلم دون عالم الحقيقة ، ويسوق المسعودي رأيا لفريق آخر يقول عن الرؤيا : « ان بطل استعمال النفس للحواس ظاهرا لم يبطل استعمالها في نفسها ، لم يبطل استعمالها قواها ، فتنتقل في الاماكن . وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التي ليست بجسم ، ولا بالقوة الجسمانية الغليظة » . . وهذا القول يتيح الفرصة أمام الانسان لكي ينطلق بعيدا عن كل قيود المادة والجسم ، وان يحقق طموحه الابدي في قهر العوامل التي تحدد وجوده وتحسد قدرته على الفعل والمعرفة . . وهو يجعل الانسان - في حالة نومه - قادر على الانفصال

عن محدودية الجسد فهو يخرج بعيدا عن هذا الجسد ليتحرك ويعرف ويلتقي بالقوة الروحية بالمعرفة التي لا تتيحها له أمكانياته المحدودة كبشر محدود بالحركة المحكومة في المكان والزمان . . أنه هنا قادر على كسر حاجزي المكان والزمان بمجرد نموه ، وانطلاقه - كقوة روحية - عبر الازمنة ، وعبر الامكنة . . فيمكن له أن يعرف ما مضى وما هو قادم ، ويمكن له أن يلتقي بأحداث سبقت وجوده على الارض ، كما يمكن له أن يلتقي بأحداث ستحدث بعد زوال هذا الوجود من على الارض - وهي فكرة من الناحية الدراسية طموحة كل الطموح . . وقد أستغلتها الحكايات الشعبية أوسع استغلال ، بل ودخلت في صلب الموروث الشعبي العربي منذ المراحل الاولى لتكون هذا الموروث . وأصبحنا نستعمل تعبير حلم الانسان للتعبير عن طموحه ، كما استعملنا لفظ الاحلام بمعنى الاماني . . واستعملنا أضغاث أحلام بمعنى الطموحات الفاشلة ، أو الاماني الكاذبة التي قد لا تتحقق لصعوبتها . . واذا كانت الكهانة لا يختص بها سوى الكهان ، كما أن الشعر لا يتاح الا لهؤلاء الذين ارتبطوا بالجن يوحون لهم بالكلام ، وكان الجنون خاطرا على فئة من الناس مسهم الشياطين فعاشوا بين عالمي الواقع والوهم ، فان الاحلام على عكس كل هؤلاء متاحة لكل انسان ، دون ارتباط بمركز اجتماعي ، أو وضع خاص يجعله قادرا على القول والتعبير . . ومن هنا كان لا بد من وجود المعبر أو المفسر الذي يؤول له معنى ما راه ، لانه بنفسه غير قادر على هذا الامر لأنه يجهل معنى الرمز الذي يقف خلف الصور التي يراها في رؤياه . . ومن هنا ظهر العرافون ، وحظوا بمكانة كبيرة عند العرب . .

والحلم يلعب دورا هاما في الموروث الشعبي العربي ، اذ يتقدم دائما لينبه الى الاحداث ، ويؤشر الى مظان الخطر ، أو مظان الانتصار . . وهو بهذا يقدم دراميا للاحداث ، ويتيح الفرصة للتفسير والتعليل لكثير من السلوكيات الغامضة التي وردت في الحكايات الشعبية العربية القديمة والقريبة على وجه السواء . .

والموروث الشعبي العربي الذي يدور حول الامكنة الهامة يعتمد في كثير من الاحيان على الرؤيا ، أو الامر القدري الذي يرد أثناء النوم . ونحكي سيره سيف بن

ذي يزن عن احلام الملك ذي يزن الذي اراد أن يهدم الكعبة وينقلها الى بلاده . فاذا هي تعذيه ليغدو في الصباح مريضاً أشد المرض ويسأل وزيره يثرب في الامر فينبئه ان هذه نازلة من الله لانه أراد هدم البيت فيعود ذو يزن عن عزمه فيشفى ولكن ما أن يرى البيت وتقديس الناس له حتى يعود الى نيته فيصبيه في نومه ما صابه أول مرة ، وتتكرر هذه الرؤى المفزعة ثلاث مرات حتى يتوب ذو يزن ويعلن عزمه على الدخول في دين التوحيد ، فيطلب من الوزير يثرب أن يبني باسمه مدينة تكون مهجرا للرسول الذي تعد به كتب السماء ، تكفيرا عما أراد بالكعبة ، ويفعل الملك ذو يزن هذا فيبني يثرب . . ويكسو الكعبة كما يأمره هاتف يأتيه في النوم بالحرير ويزركش الكسوة بالفضة والذهب . .

وقمة الحكايات الشعبية العربية التي لعب فيها الحلم دورا هاما هي حكاية الصعب ذو القرنين الملك الحميري الذي يحكي عنه وهب بن منبه في كتابه التيجان عن أحلامه وتفسيرها . .

واذا كانت حكاية الملك ذي القرنين تحمل مكانا هاما للحلم فيها ، فان سورة يوسف تمثل عناية القصص القرآني بالحلم واستخدامه استخداما قصصيا رائعا ﴿ نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ يوسف ٣ . .

والواقع أن قصة يوسف في القرآن وهي « احسن القصص » تحدد المنهج الذي سارت عليه القصة العربية بعد نزول القرآن الكريم . . تحدد دور الاله ، أو القوة المتحكممة في الانسان التي هي بديل القدر في التعاطف الكامل مع البطل ، مادام البطل مؤمنا بالله موحدا به ساعيا الى نشر دينه والقضاء على من يكفرون به . . فليس هناك صراع بين هذه القوة وبين البطل ، وحتى حين تلم به النوائب ويدخل السجن نجده يدعو السجناء الى دين الله ، وحتى حين يأتي الفرج له وتتيح له الفرصة أن يخرج من السجن لا بد له من طلب اعلان براءته الكاملة مما لفقته له عناصر الغدر في القصة من تهم . . وحين تتاح له الفرصة لينتقم ، لا ينتقم وانما هو يبر بأهله ويجازي سيئاتهم

باحسان . والعلم والتأويل اسلحة يتسلح بها البطل في القصة لتساعده على تحقيق انتصاره من مرحلة الى مرحلة ، ولكنها اسلحة غير مكتسبة ، بل هي اسلحة ممنوحة من عند الله كجزء رئيسي من مساندته للبطل . . فلا مجال للمأساة هنا ، والتصاعد الدرامي محكوم دائما بان الصدام بين الانسان والله لن يقع ، لان الله في صف البطل ولان البطل عبد متقن في طاعته لله . . وسنجد مصداق هذا المنهج الدرامي في سيرة سيف بن ذي يزن حيث تأمرت امه عليه كما تأمر أخوة يوسف عليه ، وسوف ترميه أمه في الفلاة ليموت ، كما رمى يوسف في البئر ، وتقف الغزالة المخلصة مقابل رمز الذئب المتهم البريء في قصة يوسف ، ثم تتقدم القوى الالهية لتعطي سيف بن ذي يزن كل الاسلحة المعاونة له في الانتصار على من لا يعرفون الله والكفرة ، وهم هنا سكان وادي النيل من الحبشة وحتى مصر . . فتقف الى جواره الجن المؤمنة ممثلة في عافضة وعبروض ، وأولياء الله الصالحين ممثلين في الشيخ جياذ والشيخ دياب ، والسحرة المؤمنين أصحاب السحر الابيض كبرنوخ الساحر ، وأخميم الطالب ، ويقف الى جواره أيضا الكهنة الصالحون والحكماء كالحكيمة عاقلة ، أم الملكة جيزة ، وتوصل باسمه الاسلحة المعاونة ، مكتوبة باسمه من أول القدر كاللوح المطلسم والسوط الذي يقتل الجن والانس ، وسيف آصف بن برخيا وزير الملك سليمان ، والطاقية التي تخفيه والجرباب الذي لا ينفذ ما يطلبه من زاد . وكلها أسلحة يحصل عليها اذا تلا اسمه وحسبه ونسبه ، فهو يحصل عليها بقوة الكلمة ، وهي صورة من عند الله له من اول الزمان لا يحصل عليها غيره . . ثم هو آخر الامر يستولي على ملك مصر ويعتلي عرشها . .

وعلى الرغم من ان الحلم لا يشكل عصب الحدث ، أو بمعنى اخر يشكل القوة الالهية الموجبة والحامية ، الا ان النبوءات التي ينطق بها أعداؤه من الكهنة مما يجدون في الكتب القديمة ، وأصدقاؤه من أولياء الله الصالحين ، تمثل هذه القوة القدريّة القاهرة التي تحميه وتوجه خطاه ، وتؤكد له فتح الارض أمام الدين الحنيف ، دين التوحيد ، وهزيمة النجوم والاوثنان . . وسنحس أن العمل القصصي هنا قد سار في دفعات متتالية ، ولكنها متصلة ، وأن وقوع البطل في مأزق اغما هو تمهيد لكسب جديد يحصل

عليه بخروجه من هذا المأزق سالما وأن النهاية السعيدة لا بد منها ، وإن الموت حين يأتي البطل ليس موتا فاجعا وإنما هو موت طبيعي مما يحل بالبشر عامة بحكم كونهم بشرا ، ولا يأتي فجأة لسبب مأساوي فاجع . .

في حالة تشبه حالة الاحلام . . وإيا كان الامر فإن الباطن والموروث الذي تجسده الكلمة هو العنصر الرئيسي والفعال في دلالات الاحلام والواردة في الاعمال العربية الشعبية بالذات ، وهو أيضا عنصر فعال في تحريك العمل الدرامي وحلق تراكماته الفنية . .

٣ - الكهانة والسحر والجنون

ذكرنا حين تحدثنا عن سيرة سيف بن ذي يزن ان الكهانة قامت فيها بالدور الذي قام به الحلم في قصة يوسف القرآنية وفي قصة ذي القرنين من الحكايات الشعبية العربية القديمة التي أوردها وهب بن منية في كتابه التيجان . . والعرب قد عرفوا الكهانة من قديم . ولا تكاد تخلو حكاية شعبية قديمة أو سيرة شعبية أكثر حداثة من دور للكهنة وللكهانة حتى ليقول المسعودي : « وهي تكون في العرب في الأكثر ، وفي غيرهم على وجه الندرة ، لانه شيء يتولد على صفاء المزاج الطبيعي ، وقوة مادة نور النفس . . » والاصل في كلمة الكهانة التكهن بالشيء والتنبؤ به . . ويقول المسعودي في الجزء الثاني من مروج الذهب : تنازع الناس في الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن ، وكانوا يدعون العلوم من الغيوب ، فأدعى صنف منهم أن نقوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة ، وعلى ما تريد أن يكون منها ، لأن صور الأشياء عندهم في النفس الكلية ، وصنف منهم أدعى أن الارواح المنفردة - وهي الجن - تخبرهم بالاشياء قبل كونها ، وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الجن متفقة . . فالكهانة أذن صنفان : صنف ينجم عن صفاء الروح ، وصنف ينجم عند الاتصال بالجان . . ولكن الذي لا شك فيه أن الصنفين معا يرتبطان بالديانة القديمة ، ونجدن الهيكل الطقسي داخل المعهد ، فالكاهن في كل الاحوال هو رجل الدين العارف بأسرار الديانة والقادر على الاتصال بروح الله سواء

عن طريق الشفافية المطلقة ، أو عن طريق أعوانه من الجن والشياطين . .

ويقول المسعودي : « وذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه ، وإن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على السنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار . بحسب ما يرد اليهم ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال : ﴿ وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ﴾ الى اخر القصة ، وقوله تعالى : ﴿ يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادوكم . . الآية ﴾ والشياطين والجن لا تعلم الغيب ، وانما ذلك لاستراقها مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل : ﴿ فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ . .

الى هنا ينتهي كلام المسعودي وهو يضيف ارتباط الكهانة بالجن ، وإن كان يؤكد ان ما يعرفه الجن انما يتساقطونه مما يسمعون في السماء . . وايا كان الوضع فلم يقل أحد ان الملائكة كانت على اتصال مباشر بيشري الابرار عليه السلام حامل الوحي الى النبي محمد عليه الصلاة والسلام . . أما الكهنة فقد ادعوا الاتصال بالجن ومعرفة الغيب عن طريق الشياطين ، ولم يخالف القرآن الكريم هذا وانما اثبت انهم ينقلون اليهم ما يسمعون أو ينقلون اليهم كاذب القول ومضلل . . والكهانة لا ترتبط بالاتصال الروحي المباشر ، أو بالجن والشياطين فحسب ، ولكنها ترتبط أيضا بالمعرفة بالكلمة القديمة ، أو المعرفة بعلم الافلام والكتب القديمة ، . . وهذه المعرفة تلعب دورا هاما في الاعمال الشعبية بعامة وفي السير الشعبية منها على وجه الخصوص ، وهي تحدد أدوار الابطال ، وترسم لهم ملامح شخصياتهم داخل الاعمال القصصية . . وعن طريقها يمكننا تفسير الوجه الواحد للشخصية في هذه الاعمال ، اذا نجد الشخصية الحيرة تماما ، والشخصية الشريرة تماما ونجد الصراع بين الخير والشر مجسد في الصراع بين هذه الشخصيات الواضحة القسمات والمعالن ، وبحيث يبدو ان الحياة النفسية لهذه الشخصيات لا تلعب دورا ما في تحديد سلوكياتها داخل العمل الروائي ،

والواقع ان الشخصيات تبدو وكأنها قد تم تحديد ملامحها قبل ادخالها الى العمل الروائي ، وان كان هناك لا تذبذب في الحركة النفسية للبطل فانما يأتي عن طريق الوصف الخارجي ، وهذا التذبذب على اية حال لا يغير كثيرا من سلوكيات الشخصية وردود افعالها . ونحن نستطيع ان نرجع هذه الظاهرة الى ان الابطال قد حددوا ادوارهم من قبل على ضوء معرفة بعضهم بما سيحدث من احداث كشفوها في الكتب القديمة والملاحم العظيمة . . ونحن هنا نلاحظ اضافة اسم الملاحم العظيمة الى هذه الكتب فأما هي بعينها ما يقصده الراوي بأسم الكتب القديمة لما أحتوت من سير الابطال والانبياء ، وأما أن الملاحم العظيمة أضافة جديدة الى الكتب المنزلة تضاف الى حصيلة الكهان من الكتب القديمة . . ولكن الذي لا شك فيه أن المعرفة هناك لا تقتصر على الكتب السماوية وحدها بل هناك مصادر أخرى .

وسنلاحظ ثانيا أن كل بطل من الابطال قد تحدد دوره مسبقا فجوان حدد كتاب يونان دوره ، وشيمة حدد كتاب ايفان دوره . . ولم يعد على الاثنين الا تنفيذ ما خطط لهما مسبقا من قبل يونان وايفان ، وان كان هذان بدورهما لا يفعلان سوى تنفيذ حكم الساء الذي نقلته اليهما الشياطين من استماعها الى الساء وما تتناقله الملائكة من حديث . . ومع كل جهد يونان وايفان ، فواضح انهما مسخران لاداء هذا الدور الذي لن يخدم الا ما هو مسطر مسبقا ، وما هو أمر قدر من قبل العناية الالهية ولا رجعة فيه ، ولا تبديل له ، وانما هي مجرد اهتزازات واضطرابات لا تخرج احدا عن مسار قدر له مسبقا ، وعن فعل سيقوم به شاء أم لم يشأ ، عرف بأمره أو لم يعرف ، حاول العالمون والقادرون تغييره أم لم يحاولوا - فالبطل أذن محكوم ، شخصيته مرسومة بدقة من قبل ، جوان الى جوار أعداء الاسلام فهو عدو شرير وكافر . . وشيعة الى جوار المسلمين والاسلام فهو مجاهد وطيب ومؤمن . . ولا ذبذبة في السلوك ، ولا خروج بحكم الدوافع الداخلية أو الأحداث الطارئة عن هذا المسار المحكم والمحكوم معا . . والشخصيتان هنا تتصارعان حقا ، ولكن صراعهما الخير مع الشر ، لا صراع الانسان مع القدر ، فكلاهما محكوم بقدر محدد ، وليس الخير منه والشر من القدر ، وليس الشر منه والخير من القدر ، وانما الخير والشر قدر محتوم لا يستطيعان منه فكاكا ، فالصراع

يخرج عن المجال الدرامي ، الى المجال الملحمي . . ويصبح الابطال بهذا ابطالاً ملحميين لا ابطال دراميين . . وقد انعكس هذا على ابطال الاعمال الشعبية كلها بما في ذلك المسرح الشعبي في أوائل ظهوره وحتى الآن . . اذ يدخل الابطال المسرح وهم في حالة تكامل وتكون قبل رفع الستار ، وهم يتحركون ويتصرفون وفي الذهن مسبقاً ما سيتم من أمرهم ، وما سيؤول اليه أمر صراعهم ، الخير يتصر والشر يهزم . . والمتفرج ينحاز الى الخير ، أو يسقط من ذاته على بطل الشر ، ولا يستطيع الا أن يكون له موقف ، الا يكون له انحياز مسبق ، مثل ابطاله أصحاب المواقف المسبقة أنفسهم . . وقد ظهر هذا جلياً في المسرح المرتجل ، والمسرح الضاحك الذي شهدته القاهرة منذ بدايات المسرح فيها . . ولعل هذه الملحوظة تجيب على الكثير من التساؤلات التي أثارها الدكتور على الراعي في كتابه (المسرح المرتجل) وتحل كثيراً من المتناقضات التي أحسها الدكتور محمد يوسف نجم في كتابه عن « المسرحية في الادب العربي الحديث » وتكشف السر عن الشخصيات (الجاهزة) التي عرفها المسرح العربي منذ بدايته ، وفي التزامه بالموروث الشعبي . .

وسنلاحظ ثالثاً ان ازمة أصحاب العمل الدرامي العربي في شكله الروائي الاول - هي هذه القضية الثانية ، أعني قضية الانسان والقدر ، وفي الحقيقة فأن تغلغل الايمان بالكهانة يحل المشكلة عندهم حلاً جيداً ومنطقياً ، وهو في حقيقته اسلامي واضح التأثير بأصرار القرآن على تبرئة القول من مترسباته القديمة التي يرفضها من أساسها . . كما أن هذا الايمان بالكهانة يقدم حلولاً أكثر ملاءمة للحدث القصصي من الحلم . . فالحلم وهو يستخدم بكثرة وفي كل حين - يحدث في لا حدث ، أعني انه يحدث بعيداً عن منطق الحوادث نفسها وتسلسلها وسياقها ، اذ يقطع هذا السياق ليتم في اطار السكون أو النوم . . وتفسيره يأتي بعيداً عن قدرة البطل صاحب الحلم ، لأنه يستعين بفهمه وأدراك مغزاه بالعرفاء أو المتنبىء أو المعبر . . بينما الكهانة فعل واضح وصريح يشارك فيه الابطال أنفسهم ولا يحتاجون لوسيط في الوثوب منه الى صلب الاحداث نفسها . . وقد تحول الكهنة أو الكهان في كثير من الاحيان الى ابطال يشاركون في الفعل الروائي بأنفسهم كما رأينا في سيف بن ذي يزن وفي الظاهر بيبرس

وفي السيرة الهلالية عند شخصية أبو زيد سلامة الذي كان هو نفسه يضرب الرمل ويعرف في حساب الكواكب والطاقع والنجوم . . وهذه الاشياء والتي يسميها كتاب السير باسم علوم الاقلام هي مصدر رابع من مصادر الكهانة . . الاول هو الشفافية والثاني هو الجن والثالث هو الكتب القديمة ، والرابع هو علوم الاقلام هذه . . وهذه العلوم يدخل فيها معرفة الفلك وحركة النجوم ، كما يدخل فيها من المعارف ما هو من مكونات السحر والطب الشعبي والحيل المختلفة . وتلعب الكلمة في هذه الطقوس الكهنونية دورا رئيسيا ، فأعمال السحر والطلسمات ترتبط بالكلمات السحرية التي تصاحب الطقوس السحري وتعطيه فعاليته . وظهرت المرأة الساحرة العجوز التي تسحر لتحويل القلوب وأحداث الاذى ، كما ظهرت العاشقة التي تسحر لتستجلب المحبة من حبيبها أو تثير البغض في زوجها . . الا أن أخطر أنواع السحر التي ظهرت في الموروث الشعبي هو سحر التحول أو السحر الذي يغير صورة الانسان ، أما الى حيوان ، وأما الى جماد . . ويمثل هذا عنصرا جوهريا في الحدث القصصي ، وتقول عنه الدكتورة سهير القلماوي في كتابها عن « الف ليلة وليلة » وأكثر ما يستخدم هذا الفن في الليالي في تغيير حال الانسان من ادمي الى حيوان غالبا والى جماد قليلا .

فالسحر الشرير لا بد أن يكون مرتبطا بمعنى الكفر ، ولا بد بالتالي أن يكون من يمارسونه من غير المسلمين . أما السحر الخير ، أو السحر المضاد والذي يوقف أعمال السحرة من الكفار فلا بد أن يمارسه سحرة مسلمون أما علنا كما هو في حالات العذراوات في الليالي ، وأما راکما في حالة الساحرة طامة والساحر برنوخ والحكيمة عاقلة في سيرة سيف بن ذي يزن . . ويوضح هذا ما أورده ابن النديم في الفهرست حيث يقول في الفن الثاني من المقالة الثامنة وسنلاحظ انه يسميه « في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من كتب » . . ثم يقول عن هذا الفن : « ويحتوي على أخبار المعزمين والمشعبذين والسحرة وأصحاب النريجات والحيل والطلسمات . . قال محمد بن اسحاق النديم : « زعم المعزومون والسحرة أن الشياطين والجن والارواح تطيعهم وتحدهم وتتصرف بين أمرهم ونهيهم ، فأما المعزومون ممن يتحلل الشرائع فزعموا أن ذلك يكون بطاعة الله جل أسمه ، والابتهاال اليه ، والا قام على الارواح

والشياطين به ، وترك الشهوات ولزوم العبادات ، وأن الجن والشياطين يطيعونهم أما طاعة الله جل أسمه لاجل الاقسام به ، وأما مخافه منه تبارك وتعالى ، لأن في خاصية أسمائه ، تقدست وذكره علا وجل ، قمعهم وأزالهم ، فأما السحرة فزعمت أنها تستعبد الشياطين بالقرايين والمعاصي وارتكاب المحظورات مما لله جل أسمه في تركها رضا ، وللشياطين في أستعمالها رضا ، مثل ترك الصلاة والصوم وأباحة الدماء ونكاح ذوات المحارم وغير ذلك من الافعال الشريرة » .

وسنلاحظ أن المؤرخ الاسلامي قد أسمى هؤلاء بأسم العلماء ، فأدخل فتنوهم هذه ضمن العلم في عصره . وهو مفهوم قريب من مفهوم الممارسات السحرية في العصور الاولى ، حيث كان الكهنة هم الاطباء وأصحاب المعرفة بالهندسة والطب والفلك وغيرها من العلوم البدائية الاولى . . وكل ما حدث أن هؤلاء الكهنة أنقسموا الى قسمين ظاهرين قسم منهم مؤمنون يمارسون علومهم هذه من خلال أسماء الله والايان بقوته وقوة الايمان . . وقسم منهم كفر يمارسون « علومهم » هذه من خلال القرايين والمعاصي التي ترضي الشيطان والتي تؤكد الكفر بالله وكتابه ودينه . . وهذا يقسم العالم هذه القسمية الدينية الواضحة : الله والشيطان . . المؤمنون بالله ، والكافرون . . وكل من القسمين يستعين بالشياطين في أداء أعماله السحرية أو أعمال الكهانة ، فكان لا بد أيضا أن ينقسم الشياطين الى قسمين : قسم مؤمن ومسلم ، وقسم كافر وملحد . . وقد أربط الجن المؤمن بنبي الله سليمان حيث يقول تعالى في الآيات ١٦ ، ١٧ من سورة النمل : ﴿ وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء أن هذا هو الفضل المبين ، وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطيير فهم يوزعون » .

. . وسنلاحظ أن الموروث الشعبي جعل الشياطين تتمكن من خداع آصف اذا يتحول شيطان منهم الى صفة سليمان عندما فتن بالخليل ، وجعل الشيطان يحكم مكانه ، وهي صورة درامية رائعة ولكنها كالمعتاد لا تنتهي النهاية الفاجعة ويحكي وهب بن منبه في كتابه التيجان عن هذه التجربة فيقول : « ثم أن خاتم سليمان سقط من

يده فذهب الطير وسكنت الريح لما أراد الله أن يرى سليمان ملكه لئيتليه فلما سلب ملكه علم أنه لما نسي من ذكر الله فخرج هاربا يحول في الفياقي ويتضرع الى الله ، وأن شيطانا من الشياطين كان ساحرا كتب سحرا وجعله تحت كرسي سليمان ، وصعد على كرسيه ودخل على نساء سليمان وآزره أصف وهو لا يعلم أنه شيطان . فلما نظر آصف الى فعل ذلك الشيطان أنكره . . ثم رد الله لسليمان ملكه بعد ذلك . . وهذه القصة تجعل الشيطان فاعلا بذاته ، وقادرا على تعلم السحر وآتيانه ، وهي صورة تجدها واضحة في الف ليلة وكثير من الحكايات الشعبية حيث يتحكم الشيطان في سلوكه ويظهر في صورة القادر على ما لا يقدر عليه البشر ، وهي صورة توجد ايضا في سيرة سيف بن ذي يزن ، وفي الحواديث الشعبية ، ويسمى الشيطان في هذه الحالة باسم العفريت أو الجن ، وهو يتحول من صورة الى صورة بأرادته كما أنه يقوم بالاعمال السحرية في نقل الادميين من مكان الى مكان دون أن يشعروا كما انه يقوم بعملية تحويل الانسان الى حيوان أو جناد بنفسه . . وعلى كل حال فقد تسربت الكهانة الى المعتقد الشعبي باسم السحر هذه المرة . . وأصبح الساحر يقوم بدور الكاهن القديم ، وظهر الصراع بين المعتقد القديم والصورة الجديدة ، مجسدا في هيئة الصراع بين الجن والخير والجن الشرير وبين السحرة (اصحاب الطريقة المحمودة) كما يقول ابن النديم والسحرة (على الطريقة المذمومة) كما يسميها ، وهو ينسبها الى (بيذخ) ابنة ابليس وزعموا كما يقول : « ان المرید لهذا الامر متى فعل لها ما تريد وصل اليها وأخذ منه من يريد وقضت حوائجه ، ولم يحتجب عنها » . ومن مثل هذه العبارات في كتب الاخبار والتاريخ تسلت هذه المعتقدات المعدلة والجديدة الى الموروث الشعبي العربي . الذي ربط بين الكهانة والسحر والعرافة والتنجيم . وربط أيضا بين الشياطين وما يصيب الانسان من آفات ومرض . ونسبوا الفعل الشرير من حسد ومرض ، وعطاب وجنه الى مس الشياطين ، والقرآن يستعيد منهم بالله « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » . وقوله تعالى في سورة الفلق ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ . . ومن هنا كان المدخل الى توقي الشياطين والساحرات والحاسدين وأرتبط

هذا كله بعلوم النجوم والافلاك وهي العلوم التي نشأت في المعبد قديما لرصد الالهة من النجوم والكواكب ، ثم تحولت الى علوم التنجيم التي ارتبط بعلوم السحر ارتباطا كبيرا .

ويذهب المعتقد الشعبي الى ان الجنون مس من عمل الشياطين ، ولا علاج للمجنون الا برضاء من أغضبهم من الشياطين عليه . ويقال عن المجنون انه اصابته جنه ، ولهذا فكثير من كلام المجانين يؤخذ باعتباره نوعا من النبوءة ، أو أن هناك اسراراً تحيط به . . وقد أختلطت شخصية المجنون في المعتقد الشعبي لشخصية المجذوب ، وهو الرجل المتدين الذي جذبه الانوار الالهية فضاع عقله ولكن امتلأ قوله بالحق والحكمة . . وترتبط سير هؤلاء المجاذيب ارتباطا كبيرا بالجن والاحلام ، وفي كتاب سيويه المصري يذهب ابن زولاق الى ان سيويه اصابته الجزية أو الجنة حين سقط وهو طفل من نافذة الى جوف بئر عميق ، ومن ساعتها وهو يلبس الخلق من الثياب ويسير منفوش الشعر حاملا الجريدة الخضراء في شوارع القاهرة يحذر أهلها ويسب حكامها ، ويسخر من رجال الدين فيها . . وهذه الشخصية كثيرة الورد في الموروث الشعبي العربي ، وقد تسلفت منه الى الكثير من المسرحيات الشعبية التي مثلت في مطلع القرن ، كما تسلفت أيضا الى الكثير من الاعمال الروائية والمسرحية الهائلة والجادة على السواء .

وقد بقيت لنا من أحاديث الكهانة نقطة هامة ، وتلك هي ارتباطها بالزجر والفال والطيرة والفراسة . . أما الزجر فهو التفاؤل أو التشاؤم بالطير . . أما الفال والطيرة فهو التفاؤل من امر والتشاؤم من اخر . . وأحاديث العرب ومأثورهم الشعبي كثيرة ومتعددة وهي قاطعة وحادة فمن تفاؤل يصدق تفاؤله فيسعد ، ومن حل به الشؤم من شيء تعس ولا مهرب له من هذه التعاسة . . وقد تسلفت هذه المفاهيم الشعبية من الجاهلية وعبر تكون المجتمع العربي لترتبط بالموروث الشعبي العام واصبح الفأل والتطير من الممارسات الشعبية الدائمة والمرتبطة على المسرح بالشخصيات الشعبية ذات الثقافة الشعبية الخالصة - فالامر هو محاولة للاستدلال على

الوقت

شعر / عزت الطيري

- ١ -

واقف في الطريق

كني شريد

كالاله الذي حطمته يدا عابد

بعضا من حديد

وبعيني حزن السماء التي حجبت بدرها

غيمة من صديد

- انت عانقت شمسا ففرت ..

وراحت تعانق كونا جديد

- واقف ..

الف باص يمر ..

والرجال الغلاظ

والرجال الذين

خطوة ..

واكون الذي قد يكون
والذي لم يكن . .
- انت ادمنت هذا الطريق
انت ادمنت هذا الشجن
من تكون ؟
الربيع . . الخريف
الوصول الرحيل
المطار . . الوطن
ابن من ؟
ابن هذا الزمن !!
- ٢ -

سيدي
الف باص يمر
والمحطات قد غادرت واقفيها
والرياح التي
<http://Archivebeta.Sakhr.it>
كنست ما تبقى من الورق المعدني
والنساء الجميلات يمشن ، ينقرن فوق الفؤاد ،
ويسرعن هل من مزيد !!
والنساء البغايا
يلامسن صدر الرجال
لعل النساء تلامس في عجل
حافظات النقود
سلام عليك !!
فماذا تخبىء داخل سترتك القرمزية
- اخبىء حزني

- فهل من جديد !!

- ٣ -

الحوانيت توصلد ابوابها

واقفالها قد تدلت

والعناقيد في شجر الليل نامت

والمغنى الوحيد

يتم مقاطع غنوته

ويغادر مذياعه

راحلا كي يهيم دمعته

لصباح سعيد !!

فماذا تريد !!

- اريد جوادا بقدر جموح الاماني التي

في فؤادي

- النشيد النحاسي يصرخ في لوعة

يا بلادي

بلادي . . بلادي

- بلادي التي اوصدت في طريق صباي المسالك

- انا في انتظارك !!

- الى اين يا مهرة الله نمشي

وكل الجهات مهية للمهلك

- انا في انتظارك

- الطيور تهاجرني والممالك

والنساء يجئن الى صحارى

يجئن سكارى

انا في المواجه يا صاحبي لا ابارى !!

غزلية

شعر
عبد الفتاح اصبحي

بعينيك دفء المنازل
بكفيك شوق الندى للخمائل
وصوتك رجع يمام القرى
تحت شمس الأصائل
ولكن صمتك هذا المخائل . .

هذا المخائل !
وأعترف الآن أني ضعيف أمام
جدائل شعرك

كأنني سأشقى يوما بهذي الجدائل !
فإن طار شعرك فوق حدائق
صدرك

تيقنت أني شقي . . شقي يهدد
أحلامه دون طائل

فكيف فراري ؟ ومن أين يأتي التفاؤل
إذا كان حشد من الجن جاء
يحصرنني بالمناجل ؟!

وفي كل يوم أطلع وجهك ، أقرأ في صحف الفجر حظي
وأرنو إلى الأفق . . علَّ القبائل
تفاجئني بالنهار المقاتل !

* * *

نظرات في الأدب الصهيوني

يائيل دايان وثلاثة أسابيع في أكتوبر

بقلم :
د. علي سعود عطية



« ثلاثة أسابيع في أكتوبر » هو اسم لرواية يائيل دايان ، ابنة موشى دايان ، والذي لا يحتاج الى تعريف . ويائيل نفسها اديبة روائية وصحفية ذات شهرة واسعة في « اسرائيل » ؛ وبالذات في تغطية الحروب العربية الاسرائيلية واخبارها ، كما أنها طالما خاضت غمار الحرب وخرجت من قتال الى قتال !

تعالج هذه الرواية موضوع حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . هذه الحرب التي تصفها الكاتبة في مقدمة الرواية ، كما وُصفت حرب غزو لبنان ١٩٨٢ ، بالزلزال أو الكارثة .

والقارئ لهذه الرواية يدرك لماذا كانت هذه الحرب زلزالاً أو كارثة ، وذلك عندما يتأمل الرموز والاجواء التي تسودها وتخيم عليها من البداية الى النهاية .

المستشفى

تجري أحداث هذه الرواية في مستشفى اقيم بالقرب من تل أبيب ليتلقى

جرحى الحرب ويعنى بهم . واختيار المستشفى مسرحاً لاحداث الرواية ذو مغزى عميق . إذ أن الكاتبة تريد أن تقول لنا ، ان « اسرائيل » انما هي بمثابة مستشفى كبير ! وقلب هذا المستشفى الكبير أو مركزه هو عنبر المصابين بالحروق من جراء الحرب ! وشخص هذه الرواية في مجملهم ، يعانون من مشكلات الخوف والقلق والأسى الرهيب ، ولكل منهم قصة في هذا الشأن !

فأماليا التي هي الشخصية الأولى في الرواية ممرضة (واختيار المهنة هنا له قيمة رمزية خاصة) وجندية احتياط ؛ تقوم بالخدمة الطبية كواجب من المجهود الحربي . وهي تحسُّ أثناء تأديتها لمهمتها بالآلام كبيرة لا تستطيع التعبير عنها مرات كثيرة : « اتنى لو تفيض عيناى بالدموع هذه الأيام » . وهي ، الى ذلك ، امرأة متزوجة ، يدعى زوجها الى الخدمة العسكرية ايضا ، ويتركها مع طفلين ، ولكنها كأية ربة بيت اسرائيلية لا تجد الهدوء العائلي ، ولا تنعم بالحياة البيئية الهادئة المستقرة . وهي في هذه الرواية ، تعيش ممزقة بين تأدية واجبها في حضانة ابنائها أو القيام بواجبها كما تفرضه عليها الدولة والفلسفة الصهيونية . فبدلاً من هدهة سرير الطفل ومناغاته ومناجاته في لمسة انسانية تجد نفسها مرة واحدة بين الجرحى والموتى والمشوهين من جراء الحرب .

http://Archivebeta.Sakhrif.com
وشخصية اخرى في الرواية ، نداف ، هو أحد المصابين بحروق من آثار المعركة ، الذي يشعر بهول المصيبة عندما يكتشف ان وجهه لم يعد كما كان ! وهو يشعر بحيرة وجودية وكيانية كاملة أمام هذا الواقع الجديد . وهو يتساءل بحرقه كيف سيقابل خطيبته بهذا الوجه الجديد ! وكيف يشق طريقه في الحياة من جديد ! ولا يجد من جواب الا الوعود التخديرية من ادارة المستشفى ، انهم سيجرون له عملية التجميل المطلوبة ، ولكن هيهات !

المجهول

وشخصية ثالثة ، لعلها تعبر عن الغامض والمجهول في الكيان الاسرائيلي ، هي شخصية الجريح ، الرهيب الجراح ، الرقم (٧) ، الذي ذهب الحرب بكل علامات الفارقة حتى بات من الاستحالة التعرف عليه ، كما ان اسمه لا يرد على شاشات

الحاسب الآلي ، كأنه كيان قدم من عالم آخر ! وهذا ان عبر عن شيء فانما يعبر عن حالة الضياع الكاملة ، التي تضمحل فيها شخصية الانسان أمام آلة الحرب ، وأمام المعطيات المأساوية التي يزرع فيها الكيان الاسرائيلي باعضائه في أتون المجهول !

وشخصية الزوج « دانيال » ، شخصية اخرى ، تخرج من حرب لتدخل في حرب أخرى ، وهو أيضا يعاني من « نوستالجيا » حقيقية ، للعائلة والهدوء والراحة ، بعيداً عن آلة الحرب الطاحنة والمستمرة والتي لا ترحم . « سنبتلع الحياة بنهم . سنفعل كل الاشياء التي لم نقوم بها من قبل ، سنحلم وننفذ الحلم » (الرواية ص ١٢٦) . وهو ينتهي اثناء المعركة الى المستشفى الذي تعمل به زوجته .

هكذا اذن ، ان المستشفى الذي هذه هي شخوصه ، هو رمز للمجتمع الاسرائيلي الأكبر ، هذا المجتمع الذي يجترذاته ، وتاريخه ، ويحفر عميقاً في ضميره الجماعي من أجل مواصلة المشروع الصهيوني باصرار وسادية عزّ نظيرها ، في كل العصور ، تقول احدى شخصيات الرواية وهي امريكية ، زوج لمقاتل اسرائيلي يترك امريكا ليعود للقتال في حرب اكتوبر ، دفاعاً عن « اسرائيل » ، تقول : « انكم - اي الاسرائيليين - مشغولون بشيء لا يعني الا القليل بالنسبة لي . انه المصير . . ان ذلك مثل الاستمناء . انكم تحللون انفسكم ، وتعيدون معيشة التاريخ ، وتحدثون بالفاظ كبيرة ، عن المصير والهوية ، وتحفرون في أرواحكم الجماعية في كل لحظة من النهار ، وقد يكون هذا ، بطولة ، يستحق الثناء . ولكنه بالنسبة لي مرعب ، ولا انساني » (الرواية ص ٩٤) .

لعق الجراح

ولعلّ هذا القول راجع لحقيقة النفسية الاسرائيلية ، بوجه عام ، هذه النفسية التي اكتوت من نار الحرب ، المستمرة ، كاللعة ! والرواية في حقيقتها ليست سوى رثاء أو مراثاة لهذه النفسية « ان اصطلاح لعق الجراح ، يمكن تطبيقه بسهولة على المزاج النفسي الذي سيطر اثناء الحرب ، ومن يتصفح هذه الرواية ، يجد حقاً جواً من الحزن والكآبة والشعور بالأسى والأسف يلفها من البداية الى النهاية . حزن كبير كبير بمساحة

الارض المحتلة نفسها ! لقد وقع المجتمع الاسرائيلي في قبضة شريرة خرافية ، ولا يظهر انه سيكون له فكاك منها في القريب ولا في البعيد . ومن هنا ، فانه ، وهو المتورط حتى الأعماق في حلقة جهنمية ، أصبح في بعض الأحيان - ولعلّ هذا من أهم المؤشرات التي تشير اليها هذه الرواية - لا يؤمن بأهمية التوسع والاستيلاء المتواصل على الأرض ، ان كان الثمن هو هذه الأرواح التي تسفك دماؤها كل بضع سنوات . تقول بطلة الرواية أماليا « ان المكسب يقاس بالأميال المربعة ، ولكن الخسارة هي بالأرواح ، لقد كانت الخسارة أكبر من المكاسب » (الرواية ص ١٤٩) . ولعلّ هذا القول يكتسب مصداقيته من شعور اليهود بعامة ، والاسرائيليين بخاصة ، بما يمكن ان نسميه « عقدة الأقلية » أو « النقص في العدد » . والشخصية الرئيسية نفسها ، لا تريد لابنائها أن يكرهوا ، أو يحقدوا ، تلك الكراهية وذلك الحقد ، اللذين يأتيان بالحرب والعدوان . كما انها في نهاية الأمر لا تؤمن بجذوى الحرب . وتقول في مناسبة ثالثة في الرواية ان الحرب حدث رهيب ! وفي مناسبة غيرها تقول « لقد زعمنا اننا انتصرنا ، ولكنني لم أشعر بذلك » (الرواية ص ١١٠) . وتتساءل بمرارة ، أيضا ، هل اطفال وزوجات القتلى يشعرون ان الحرب تستحق موت الآباء والأزواج .

محمل القول ، اذن ان القارئ لهذه الرواية ، يحسّ انها ادانة شديدة لهذه الحرب وويلاتها ، وتجسد الكاتبة هذا المعنى عندما تقول لنا ان المجتمع الاسرائيلي بمجمله ، برسم الحرب ، وبانتظار الموت . وهي تقول على لسان الامريكية التي أشرنا اليها اعلاه مخاطبة البطلة : « ان لديكم عقلية الانتظار . . انكم لا تعيشون الحياة ، ولكنكم تنتظرون فقط ! » . . وتستطرد في قولها المأساوي حيث تبلغ الرواية قممها : « انكن تنتظرن رجالكن ليذهبا ، وتنتظرنهم ليعودوا . لقد انتظرتن الآباء أولاً ، توخياً للوصول الى سن النضج ، بينما الآباء على قيد الحياة ، حتى إذا تزوجتن ، انتظرتن الأزواج ليقوموا بدورهم ويعودوا اليكن أحياء سالمين ، أو قطعة واحدة . وبعدئذ ، رأيتن الاولاد يكبرون رويداً رويداً ، وعددتن السنوات حتى بلغوا الثامنة عشرة ، وجاء دورهم ليذهبوا ويعودوا ، وفي هذا الوقت هناك شابات صغيرات ينتظرنهم ويعددن أنفسهن ليحملن اطفالهم وينتظرنهم . ان هذا الحال مثل مستشفى

الطوارئ ، حيث تنتظرين المصباح الأحمر ، التالي ، على باب غرفة العمليات ، وتراقبين من سيحمل على محفة حياً ، ومن سيضحى به في هذا المضمار » (الرواية ص ١٠٢) .

الصدمة

ويتمادى الحزن والبكاء في أثره ، في هذه الرواية المراثية ، حتى ليصبح التجريد فيها ، أو لنقل اللوحة التجريدية ، هي صورة الموت البشعة ، والاعضاء المبتورة والوجوه المشوهة والصدور والبطون المحروقة !

ومهما يكن من أمر فان يائيل دايان ، كما أسلفنا ، مؤرخة عسكرية ، غطت أخبار ١٩٦٧ ، واشتهرت بذلك ، وراست كبريات الصحف الأجنبية والاسرائيلية ، كما انها عانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وهي الى ذلك سليله اسيرة تقديس الحرب ، وتؤمن به وسيلة للتوسع والاستيطان والاعتصاب . ومن هنا فانها تصف حرب اكتوبر من أكثر من زاوية ، وتضعك في أجوائها في أكثر من جانب : تصف الطائرات والصواريخ والدبابات ، وتقربها في المنظور ، حتى انك لتكاد تحسّ انك في ساحة المعركة ، وسط أزيز الطائرات وقرقة الدبابات وفحيح الصواريخ ! وهي تتحدث عن العبور المصري ، وكيف ان الاسرائيليين لم يتوقعوه ولكنهم توقعوا ١٩٦٧ اخرى ، ومن هنا جاءت الصدمة التي تفاعلت مع المجتمع الاسرائيلي كما يتفاعل الوباء . كما انها تتحدث - بالمقابل - عن ثغرة الدفرسوار ، وتحدثنا ايضا عن الهارين الاسرائيليين من أرض المعركة ، كما انها تذكر المقاومة الشعبية المجيدة في مدينة السويس ، تلك المقاومة التي تجعل من السويس ، كما يورد احد شخوص الرواية « دانيال » أتونا حارقا ! ومع هذا ، ومع كل الوبلات ومحاوله ادانة الحرب على لسان الكاتبة ، ألا انها تريد لنا ان نفهم ان الخدمة العسكرية في « اسرائيل » واجب مقدس يتهافت الجميع لتأديته رجالاً ونساء ، ويأتون من أجله من كل طرف من أطراف الدنيا يلبون نداءه . . وهم يعلمون انهم اغما - ربما - يساقون الى حتفهم ! وان كلاً من هؤلاء مسكون بروح خاصة تتقمصه وتعود في تاريخها الى آلاف السنين ، روح قاتلت وقامت

بكل طقوس الحرب وواجباتها منذ ذلك الزمان البعيد البعيد ! فيا ثيل لا تريد ان تنسى التاريخ . . والحق التاريخي والكفاح التاريخي . . هذا الكفاح الويل الذي تستمطر عليه في صفحات اخرى اللعنات وتكيل له كل النقد والظعن والهجوم ! ألم يقل احد الجنود بحضور ايها عند احتلال حائط المبكى ١٩٦٧ انه وصل الآن بعد مشوار بدأ منذ الفي عام !

غاية الأمر ان هذه الرواية وثيقة صادقة ، الى حدّ ليس بالقليل ، في تصوير حرب اكتوبر بأسلوب روائي ، ولعلّ أهم ما فيها هو الشعور بان الاسرائيليين ، عند أول صدمة حقيقية لهم بدأوا يعيدون النظر ! ولعلّه من هنا جاء على لسان البطلة قولها « ان هذه الحرب يجب ان تكون الحرب الأخيرة » ! ولعلّ هذا ما حققته لهم - ويا للأسف ! - معاهدات السلام التي لحقت بحرب اكتوبر . . وما كان ينبغي لها أن تفعل حتماً ، بما نستطلع من قراءة هذه الروايات ، والتي هي معبرة ، ومثّلة لوجهة نظر قطاع كبير من الاسرائيليين ، ناهيك ان كاتبها هي يائيل دايان التي عرفت انها من كبار الصقور في « اسرائيل » .

هل هي آخر الحروب ؟

ليس من المبالغة في شيء ، القول أدن ان الكيان الاسرائيلي في جوهره ، وقد اقيم على باطل ، غمر من ورق . وان الذي يعرّيه ويضع فيه النقاط على الحروف ، ويصل بالاشياء الى غاياتها وقرارها هو حرب حقيقية ، ومستمرة ، تجعل مثل هذه الأصوات ترتفع ، لتضع حداً للقوة الغاشمة ، التي صنعت الاسطورة الاسرائيلية ، وما هي بذلك لو كنا فاعلين !

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ايضاً ، هل كانت هذه الحرب آخر الحروب ، او انها ستكون ؟! الجواب الذي يقفز الى الذهن اوتوماتيكياً : لا ! فحرب ١٩٨٢ وغزولبنان ، والتهديد بالحرب وقرع طبولها من جديد ، حتى نحو مصر ، التي عقدت معها « اسرائيل » معاهدات السلام ، لا يزال وارداً . تقول بطلة الرواية « ان لدي شكوك : شكوك عن قوتنا ، وشكوك عن انتصارنا ، وعن مستقبلنا وعقلنا » .

ولكن ، على ما يبدو ، فإن هذه الشكوك ، انما هي وليدة البؤس والتعاسة التي جلبتها حرب اكتوبر ، التي تتحدث عنها الرواية . ولكن ما ان تمضي الأيام ، وتندمل الجروح ، حتى تفرغ أجراس الحرب من جديد في « اسرائيل » ، هكذا علمتنا المجريات السابقة للحرب : حرب ١٩٤٨ ، وحرب ١٩٥٦ ، وحرب ١٩٦٧ ، وحرب ١٩٧٣ ، وحرب ١٩٨٢ .

ومن هنا فاننا نعتقد أن لا علاج لهذه النزعة الشريرة في العدوان ، وعلاج الأمور بسلاح الموت ، الا كسر هذه النزعة ، وتدمير هذه الاداة الشريرة الا وهي الحرب ، مرة واحدة والى الأبد . . . حقا انه لا علاج للحرب ، الا بسلام حقيقي يشرق على المنطقة ، ويقضي على ادوات التوسع والدمار والقتل . . . وفي النهاية لا يصح الا الصحيح . . . فالاسرائيليون الذين وقعوا في مصيدة العنف القاتل ، لا يمكن ان يداووا الا بعنف مقابل . أجل ان دور العنف هنا اشبه بدور حربة أخيل التي تأسو الجراح . . . وعلى هذا فهو عنف خلاق . . . عنف مشروع وصحي ان صح القول ، تماماً كما هو الدواء بالصدمة لبعض الأمراض النفسية المستعصية ؛ أو قل إنه الكيّ ؛ والعرب تقول « آخر الدواء الكيّ » !

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

